املكتبة القبطية على الانترنت

http://copticlibrary.110mb.com

سر الحب

تأليف
كمال حبيب

مكتبة المحبة

سر الحب

من خلال الإنجيل وعلم النفس

دراسة واقعية روحية

للعلاقة بين الرجل والمرأة

تأليف

كمال حبيب

أستاذ بمدارس التربية الكنسية

بمدينة بشبرا

الناشر

مكتبة المحبة بالفجالة

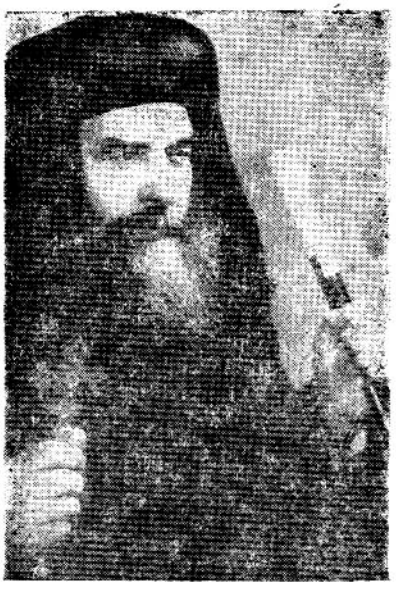

الأنبا كيرلس السادس الـ ١١٦
بابا الاسكندرية وبطريرك
الكرازه المرقسية

مقدمة

لعل كلمة الحب هى أكثر الكلمات غموضاً فى قاموس الشباب ، فالبعض يعنى بها الإنفعال الغريزى ، والبعض يتصورها الإنسجام العاطفى ، والبعض يراها الأحلام الأفلاطونية والميول الرومانسية فى حياة المراهقة . وهناك من يراها السر الذى لا يستطيع الإنسان أن يشرح جوهره وإنما قد يتمكن من تصوير فاعليته .

هذا عن مدلول الكلمة المحير ومقوماتها المختلفة ، أما عن إرتباطها بالغير فهو أكثر حيرة ، فهل هناك حب بين الشاب والفتاة ؟ ومتى يكون حباً ومتى يكون عشقاً ؟ وإذا كان هناك من لم يعرف الحب كما يتصوره أهل العالم حتى إن وصل سن الزواج فهل هذا يصلح للزواج أم لا ؟

ثم ما علاقة الجنسية عند الإنسان بالحب ؟ هل هى الحب كله ؟ أم هى مقوم من مقوماته ؟ أم هى جرثومة تحطيمه ؟ أم هى وقود لهيبه ؟ ؟ .

وما العلاقة بين السر الإلهى فى الزيجة المقدسة وبين الحب عند الزوجين ؟ ؟ وإن كان الحب حقيقة قائمة لا يمكن إغفالها فى حياة

المحبين فهل للحب ديمومته ؟ وهل هو نور ينبثق فجأة أم هو لهيب يخضع فى إشتعاله وإنطفاء سعيره لعوامل الزمن وتحدياته المختلفة .

ثم بعد هذا كله ما مسئولية الكنيسة والأسرة إزاء التربية للعفة والحب ؟؟

هذه هى بعض القضايا التى يطرحها هذا الكتيب ليجيب عنها من خلال روح الإنجيل والدراسات النفسية الحديثة .

الموضوع الأول

معنى الحب الجنسى

- ما هو الحب
- بين الحب والعشق
- بين الحب والصداقة الجنسية
- بين الحب والشفقة
- مقومات الحب الحقيقى
  - النضج والبذل
  - الحرية
  - الجاذبية والإلهام
  - الإلتزام الزوجى

معنى الحب الجنسى

١ — ما هو الحب ؟

« إذا نظر الشعراء إلى هذا المفهوم فهم يربطونه بمعنى الجمال ، وإذا نظر رجال علم الأخلاق إلى الحب فهم يربطونه بالخطيئة ، وإذا بحث علماء البيولوجى هذا الموضوع فهم ينظرون إلى هذه الوظيفة على أنها مجموعة من الغدد والإفرازات ويطبعون مفهوم الحب بطابع بيولوجى حيوى بحت . وإذا درس علماء الإجتماع هـذا الموضوع فهم يبحثونه كسلوك إجتماعى للانسان الذى هو حيوان مدنى فى نظرهم .

وإذا عالجه المتصوفون فهم يرون فيه الإتحاد بالله والتحرر من الذات وعبوديتها »(١) .

ولـكن الحقيقة أن الحب فيه الجمال ، وفيه الجلال ، وفيه الجاذبية الجنسية ، وفيه الحب الإلهى الخلاق ...

الحب الجنسى فيه شىء من الروح ، وشىء من العقل ، وشىء من القلب ، وشىء من الجسد ...

الحب الجنسى عند الإنسان هو أشبه ما يكون بالنور ولا يستطيع أحد أن يقطع بالعناصر التى يتكون منها .

« يراه بلزاك توافقاً بين الحاجات الحيوية والمشاعر الوجدانية ، ويراه آخر مركز الحياة والمعنى ومنبع السعادة والقيمة ، ويراه ثالث العلاقة الحميمة التي يسقط معها كل تكلف وإفتعال ومجاملة »(٢) .

ويراه الباحثون في هذا المجال تصميما وحكماً وعهداً ...

ترى !! .

لو كان الحب عاطفة أو شعوراً أو وجداناً بحتاً هل يستطيع أن يدوم وعواطف الإنسان متقلبة ومشاعره متأثرة بعوامل عدة تظهر اليوم وتختفي غداً ؟؟

لقد إتفق جميع الرواد الموثوق في دراساتهم إلى أن الحب الحقيق هو ذلك الذي يرى في الآخر شخصاً يحب لذاته دون أن يُتخذ منه مجرد أداة أو وسيلة لإشباع الأنانية أو إرضاء الميول الذاتية ، ومن هنا فإن كلمة الحب لا تكاد تنفصل في معناها عن كلمة الإيثار ...

ولهذا يقولون إن كل من يحب شخصاً لجماله أو ماله أو جاهه أو مركزه فإنه لم يعرف بعد معنى الحب ، لأن هذه كلها ليست سوى صفات فهي ليست بالشخص نفسه ، وأما الحب الحقيق فإنه لا يحب الآخر لصفاته أو مميزاته بل هو يحبه لذاته .

لهذا نسأل أنفسنا ...

• هل الحب يختلف عن العشق ؟

- هل هو الزمالة أو التعاطف ؟
- هل هو مشاعر النمو والشفقة والرحمة ؟
- أم هو شيء آخر غير هذا كله ؟؟

٢ – بين الحب والعشق Eros

إن كلمة إيروس تستعمل عادة للاشارة إلى الحب الجسدى وهى تشير فى المضمار الجنسى إلى معانى العشق الحسى العنيف ؟ والتمركز الذاتى ، والانانية ، والتهور والأندفاع والتلهى ، والرغبة فى الهروب من المسئولية والالتزام ، وهى تحدى لقصد الله من الإنسان إذ يصبح الإنسان فى العشق شيئاً يمتلك أو يسعى إلى إمتلاكه وليس شخصاً على صورة الله ومثاله يحترم ويقدر ويحب لكيانه دون النظر إلى ما يملكه ..

- لنحبث الآن هل حب الذات وعشقها أمر غير سليم ؟
- ثم ما معنى أن العشق يتسم بالأنانية وعدم المحبة ؟
- وهل العشق قادر أن يشبع الإنسان ويزيل منه العزلة والفراغ العاطفى الداخلى أم لا ؟

عشق الذات :

إن أول صورة يعرفها الإنسان من صور الحب هى حبه لنفسه وإذا تصورنا إنساناً لم يستطع فى طفولته أن يشبع نفسياً حتى تتكون ذاته

تكويناً سليماً ، وإذا تصورنا شخصاً — لظرف أو آخر — يحقد على نفسه ويكرهها ويود لو تخلص من حياته انتقاماً من نفسه ، مثل هذا الإنسان لايستطيع أن يحب الآخرين لأن الكتاب أوصانا أن « **تحب قريبك كنفسك** » والذى لا يستطيع أن يحب نفسه كيف يمكنه أن يحب الآخرين ، وفاقد الشيء لا يستطيع أن يعطيه لغيره ...

ومعنى هذا أننا لانتوقع أن نجد إنسانا محبا بمعنى الغيرية إلا إذا كان قد تملك ذاته أولا تماماً وبكل حريته وفرحه وبملء إرادته يقدمها على مذبح التضحية والبذل ليتحرر من عبوديتها وأسرها .. وهذا هو معنى «من أراد أن يخلص نفسه يهلكها» . فالإنسان الناضج نفسياً وروحيا لا يطيق أن يعيش مشدوداً إلى وثاق نفسه فحسب : إنه يراها قوقعة لا بد أن يخرج منها .. إنه يرى ضرورة أن يتجاوز نفسه حتى يستطيع أن يندمج مع العالم الخارجى ويخرج إلى عالم الغير المتسع الأبعاد المملوء بذلا وحباً وخدمة ...

يقول الرسول بولس « لا أحد يبغض جسده بل يقوته ويعتنى به» (أفسس ٥ : ٢٩) والجسد هنا عند الرسول هو الشخص وليس الجانب البيولوجى من الكيان فحسب .. وفى هذا يقول أحد الفلاسفة :

« إننى عين جسدى ؟ وإن ذاتى هى مجاع احاسيسى وانفعالاتى وعواطفى ومسراتى وخيراتى . . وإن لم استطع أن اتعهد نفسى جيداً فكيف استطيع أن اتعهد الآخرين ؟ ! »(٣)

« وإن لم تكن لدى قدرة على الثقة بالنفس فلن يكون فى وسعى أن اثق بأى شىء آخر ! »

ولكن الإنسان إذا عاش فى عبودية حبه لنفسه فإنه يسجنها يفقدها معنى الحب وفاعليته .. لأن الإنسان بطبيعته متجه نحو الآخر، فهو إنسان لأنه يأنس إلى الآخر وهو على صورة الله إذ خلق لكى يحقق الوحدة بالاتحاد مع الآخر .. وهو لا يجد لنفسه راحة أو شبعاً إلا فى المحبة لأن الله محبة . .

وراحة الإنسان هى فى الله تماماً (ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك).

وإذا كنا قد اعتبرنا حب الذات صورة ناقصة من صور الحب ، وأنه دائرة مغلقة ، كل من يحبس نفسه فيها يصير سجينا ، يتوهم أنه قادر على الانطلاق ولكنه حبيس لا يرى النور ولا الحرية لأنه فى قبر الذات يعيش...؛ فهناك سؤال هام وهو هل يستطيع الإنسان أن يجد فى الموجودات مجالا للخروج من هذا الحبس والقضاء على العزلة القاتلة ؟

عشق الموجودات

إن الموجودات لا تستطيع أن تحول حب الذات إلى حب حقيقى ، لأن الحب الحقيق لا يكتمل إلا فى الآخر ، والآخر هو الذى يقضى على العزلة وينتزع النفس من الأنانية المرة ... أما الموجودات مثل الطبيعة والأشياء فهذه لا تكفى بل وكثيراً ما تكون مجالا للهروب من مواجهة النفس لحقيقتها والمتطلبات منها ...

إن أنا أحببتك أنت لا لشيء آخر سواك فإني أحبك ، ولا أكون بعد في سجن النرجسية ، ولكن إن أنا احببتك لشيء ما معك أو فيك فإني لا احبك . ولكني أتلامس مع أشياء تزيدني عزلة وتعمق لدي الاحساس بالفراغ والوحشة ، لأن الآخر لم يدخل إلا ليحقق الوحدة المنشودة وهي أن واحداً + واحد لا يكونان أثنين وإنما وحدة واحدة تملاء الفراغ وتلغي العزلة وتفجر ينابيع الحب في قلب المحبين حقيقة .

فعالم الاشياء لا يشبع النفس ، ولا يحقق لها ما تنشده ، لأن النفس لا تنشد شيئاً بل شخصا آخر تتلاقى معه وترتبط به، أما إذا بقيت متعلقة بمجموعة من الأشياء والموضوعات فإنها لن تستطيع أن تتخطى مرحلة التمركز الذاتي ... لأن التعلق بهذه الأشياء إنما هو صورة من تعلق الإنسان الشديد بصميم نفسه دون سواه ، وأفضل مثل يصور لنا هذه الحقيقة هو تعلق الطفل بالألعاب والحلوى ، إنه يرى نفسه فيها ويوحد بين ذاته وبين هذه الأشياء فمن يأخذ منها شيئاً رغم إرادته كأنه ينتزع وجوده وكيانه ...

« واخطر ما تعمله الحضارة المادية التي نعيش في كنفها هو تحويل الإنسان إلى شيء ، وجعل الأفراد مجرد موضوعات أو أشياء أو أرقام : لقد أفرغت الحضارة المادية الإنسان من سره الداخلي ، من ملئه الروحي والنفسي ، واكتفت باحتسابه رقمـــاً بين ملايين الأرقام وترساً بين ملايين التروس في آلة المجتمع الكبرى ... لاجل هذا فقد

الإنسان كيانه ، عندما تصور نفسه شيئاً ، وبدأ ينظر للآخر على أنه شيء أيضاً ...» (٤)

أما الله فى الجنة فقد خلق آدم شخصاً يصنع معه حواراً وجبل منه حواء شخصاً معيناً نظيره ... فالعلاقة الحية التى تقوم على التبادل والتجاوب ، والتى بها الأخذ والعطاء ، والتى فيها أحيا أنا بحياة الآخر ويحيا الآخر أيضاً بحياتى ... مثل هذه العلاقة الإنسانية هى أساس قيام الحب الإنسانى ، وبإختفائها يختفى الحب الحقيقى ليوجد حب الذات فى صوره المختلفة ...

• العشق انانية

لا شك أن العشق نمط أنانى لأن العاشق لا يحب الآخر ولكنه يحب نفسه ... هو يتصور وجود ذاته فى المعشوق ، وطالما كانت هذه الصورة قائمة بقى العشق ، وعندما تتحطم هذه الصورة يتحطم معها كل ما فى العشق من إندفاع ومشاعر فائرة وإنفعال عنيف . .

إن العشق تمركز ذاتى جاذب . فالعاشق يتصور نفسه مركز الدائرة ، ويريد أن يدور المعشوق فى فلكه ...

هذا كله من طبيعة الجسد فى نظر المسيحية ...

فالإنسان الجسدى لا يحب إلا نفسه ، وإذا ما تصور أحياناً أنه

يحب فهو يعشق ولا يحب، وهو يشتهى ولا يبذل، وهو يتلذذ ولا يلتقى على صعيد المسئولية الحقة، وهو يتلهى كما يتلهى الطفل بالفاكهة والحلوى.

إن أحسن مثل للايروس أو العشق الجسدى الذاتى شخصية **دليلة** فى الكتاب المقدس .. هذه التى خدعت شمشون . إنها لم تكن تحبه بل كانت تعشقه وتعجب ببطولته وتذهل لقواه الجسمية الجبارة، ولكنها لم تكن يوماً تحبه ما لشخصه، ولو كانت أحبته ما أسلمته للعار والذل الذى لاقاه فى حياته .

وشمشون أيضاً لم يكن محباً لأنه لو كان محباً لكان ناضجاً عاقلا متروياً متبصراً، ولكانت شفافيته قادرة على أن تكشف سطحية نظرته إلى دليلة وخبث الأنانية القاتم الذى يملأ جنباتها وخلجاتها ..

العشق إذن هو التلامس مع الآخر على مستوى الجسد .. والإنفعال الجسدى لا يشبع الإنسان ولا يروى قلبه، بل كثيراً ما يكون الإتصال الجسدى بين إثنين دون إنفعال روحى وحب صادق سبباً فى مزيد من العزلة وقيام كراهية شديدة وعداوة فظيعة ...

« الحب ليس هو الشهوة الجسدية، لأن الإلتحام الجسدى ليس هو مصدر الوحدة، فإن جسمى المحب والمحبوب ظلان منفصلين بعد الإتصال لكى يواجه أحدهما الآخر دون أن يمتلك أحدهما الآخر . وهكذا يتحقق

المحبان من أن الحب الجسدى لم ينجح فى التوحيد بينهما ما دام كل واحد منهما قد وجد نفسه بعد الإتصال الجنسى مرتداً إلى وحدته ، إن لم يحدث فى أغلب الأحيان أن يبغض أحدهما الآخر بسبب هذا الإتحاد الجسمى... إن ما يمزج بين الأبدان فقط إنما هو بعينه ما يفصل بين النفوس والأجساد... »(٥) .

ولدينا فى الكتاب المقدس نموذج على هـذا النمط . . فإن أمنون إشتهى ثامار أخت ابشالوم شهوة جسدية عارمة .. وبعد أن سقط معها يقول الكتاب « ثم ابغضها امنون بغضة شديدة جداً حتى أن البغضة التى ابغضها إياها كانت أشد من المحبة (العشق) التى أحبها إياها » ؟ « ٢ صم ١٣ : ١٥ » .

وهذا يفسر لنا الفارق بين الزانى والمتزوج.. فالزانى يلتقى مع الزانية على مستوى العشق الجسدى ، وأما المتزوج فإن إتصاله الجسدى مع زوجته إنما هو تعبير عن شركة حب عميقة ، ووشائج إتحاد فيه الحب والبذل ، وفيه الإخلاص والصدق ، وفيه الإلتزام والمسئولية ، وفيه الوفاء وحفظ العهد .

والعشق أو الايروس يقوم على التهور والاندفاع والانفعال العنيف وهذا ما نلمسه فى سلوك المراهقين فى المرحلة الثانوية عندما يتصورون أن مثل هذا النمط حباً . الحب ليس اندفاعاً أو انفعالاً أو تهوراً وانما هو بذل فيه

الوقار كما فيه الحماس . فيه الاتزان كما فيه السرور والابتهاج .. فيه التعقل والاستقرار كما فيه الوفاء المتبادل ... لذلك لانتوقع من نفسية ثائرة مندفعة غير مستقرة لم تنضج بعد، أن تحب حبا بالمعنى الروحى والنفسى السليم .. ومن أجل هذا تنصح الكنيسة المراهقين ألا يدخلوا فى مجالات العلاقات العاطفية لأن ميعادها لم يأت بعد ، إذ أن الإنسان لا يستطيع أن يحب إلا إذا كان قد انتهى من قضية انانيته و تخلص من كل انحراف أو تهور أو ضعف شديد يمنع فعل البذل والتلاقى على مستوى المسئولية والوفاء ..

فالحب فى نظر المسيحية ، ليس هو الهوى العنيف الذى يتخذ من الآخر واسطة أو مناسبة لزيادة إحساسه بالحياة أو تحقيق أمله فى السعادة ، وانما هو اتجاه غيرى يتحو نحو الآخر لكى يعمل على خدمته ويسهم فى تحقيق سعادته ويشترك معه فى تثبيت دعائم ملكوت الله على الأرض ..

« العشق هو اسقاط الأنا على المحبوب كأن الشخص عندما يعشق يبحث عن نفسه فى صورة المحبوب .. والمحبوب عنده صورة للذات لذا قيل إن العشق (الحب) أعمى .. إنه لا يرى فى المحبوب إلا ذاته ، والذى يحيا فى أسر ذاته هو أعمى قصير النظر نسى تطهير خطاياه السالفة ، وأما الحب الحقيق فهو غير هذا تماماً .. إنه انفتاح للآخر وقبوله وتعهد بتحمل شخصه بكل ما فيه .. إنه هبة تتجدد كل لحظة

لأنها لا تقوم على نزوة متقلبة أو رغبة عابرة أو غرض رخيص وإنما تقوم على وعد أبدى ؟ ؟(٦)

• **العشق الافلاطونى الرومانسى**

ويدخل ضمن مفهوم العشق الايروسى ذلك النوع من الحب الخيالى الافلاطونى الرومانسى الذى فيه يخلع المحب على المحبوب صفات مثالية ، ويتصور نموذجاً لا يقترب منه الزلل ، ويعيش فى هذه الصورة الكاذبة التى رسمها لنفسه ، ويسعى أولا يسعى إلى أن يقترب من المحبوب الذى رآه لا كما هو بل كما يريده أن يراه (٧)

---

(٧) ذكرت احدى الدراسات المتعمقة للمراهقة أن غالبية المراهقين يلجأون إلى الحب والجنس كى يروون ظمأ عاطفياً ليس إلا .. أنهم ارادوا إن تكون لهم شخص الحبيبة مادة يغذون بها عاطفتهم وشعورهم .

وإن تحليل الحب العذرى الافلاطونى الرومانسى لا يزيد عن كونه تأثرات جنسية تخلص بعد من آثار العلاقات العاطفية فى الاسرة وتمتزج هذه التأثرات كذلك بالتأثرات الدينية والتحريم الجنسى فى المجتمع . فإذا بهالة من التقديس والابهام تغلف شعور الفرد نحو الجنس الآخر .

ويشتد هذا النوع من الحب عند المراهقين الذين تربوا تربية دينية تؤكد الفصل بين الروح والجسد وتقام الخصومة بينهما فإذا بالمراهق يحاول أن يجرد تفكيره فى من يحب من النظرة الجنسية البيولوجية ، ويحاول أن يتسامى بعاطفته عن الإشتهاء الجنسى ولذة الجسد ..

على أنه عندما ينضج تستقر عواطفه ويختار شريكة حياته على أصول وأسس كلها نضج ورشد واكتمال .

ورجال علم النفس يعتبرون هذا النمط من الحب نوعاً من التخلف فى النمو الجنسى، إذ لا بد للمراهق أن يتجاوز هذه الرومانسية ليحيا فى الواقع ويتعامل مع الآخرين كما هم ويحب الآخرين كما هم لا كما يتصورهم.

إن العاشق الأفلاطونى هذا إنسان أنانى ، لأنه صور الآخر إلهاً لكى يتملكه ويتأله هو بهذا الإمتلاك ...

إنه لا يتقبل المعاناة التى فى الحب ، ولا يطيق التعرف على العيوب والنقائص التى فى المحبوب ، لأنه غير ناضج وغير قادر أن يحمل عيوب الآخر إذ هو يريد من الآخر أن يحمله ويزيده ثراء بالمثالية التى تصورها فيه ...

مثل هؤلاء العاشقون المثاليون يصطدمون عندما يتزوجون ويصيبهم الفشل عندما يحتكون بالحب إحتكاكاً مباشراً ، لأنه يتكشف عن صورة مخالفة تماماً لما تصوره سابقاً ، فمن الممكن أن يكون (الدون جوان) أفلاطونيا بطريقته الخاصة فهو لا يحب إمرأة معينة ولكنه يبحث عن الأنوثة التى لا تكون أية إمرأة سوى إنعكاس ناقص لها ، وفى النهاية يفرغ هو نفسه من أن يكون شخصاً معيناً ويصبح رجلاً من غير إسم ولا جوهر .

أما الحب الذى أوصى به الرسول بولس « فليحب كل واحد إمرأته » أفسس ٥ : ٣٣ فهو حب من نوع آخر ... إنه نوع يحتمل

النقائص بل يراها علامة من علامات الحياة الإنسانية ولا يتزعج للضعفات بل يراها مجالا من أخصب المجالات للنمو فى المحبة وأزدهار المودة وتعميق ربط الحب الحقيق ... لهذا تكون المحبة الزوجية قوية كالموت بل هى أقوى من الموت لأنه إذا انسكب الحب فى قلبيهما بالروح القدس فإنهما يدخلان أعتاب الأبدية والخلود ، إذ يكون فيهما الحب الذى أحب الآب به إبنه يسوع المسيح ، وحيثما يكون يسوع تكون هناك الأبدية والسماوات .

• **العشق لا يشبع**

وهل يستطيع العشق أن يشبع الإنسان ويروى حياته الداخلية ويزيل منه العزلة والفراغ ؟

لقد كانت المرأة السامرية عاشقة وكان لها خمسة أزواج ولم تستطع أن تشبع وأحتاجت إلى ما يرويها ، وعندما رفعها الرب يسوع من مستوى العشق والحياة الجسدية إلى الحياة حسب الروح تغيرت تماما وسادها فرح أبدى حتى أنها لم تستطع أن تحبس هذا الفرح فى جنباتها فطفقت تبشر الآخرين وتدعوهم أن يشاركوها فرحتها وبهجة قلبها وأمتلائها بالسلام الداخلى ...

ولقد يعترض أحد الشباب المنغمس فى العشق الجسدى ويقول ولكنى سعيد بما أنا فيه ، وحالتى أحسن من زميل لى يثابر على الإجتماعات

الروحية وممارسة وسائط النعمة ... قد يبدو هذا صوابا ولكن فى المظهر فقط فأنت تضحك ياعزيزى وهو يبكى ، وأنت تهزل وتملأ الدنيا ضجيجاً وهو صامت مشغول بالصلاة من أجل خلاص نفسه ...

ولكنك أيها العاشق الساعى وراء اللذة والمتعة ، ماذا سيكون حالك لو أنك جلست مع نفسك جلسة هادئة وطويلة حتى تتمكن من إكتشاف أعماقك وداخل كيانك ؟!! أراك لا تطيق مثل هذه الجلسة لأنك لاه عابث لا تعرف للعمق معنى ، تعيش على السطح والقشرة وتكتفى بالمحسوسات واللذة والخيالية ولا تريد أن تدخل إلى العمق والملء والثراء فى الكيان الداخلى الحقيقى ...

أما ذاك الذى ترى الدموع فى عينيه أحياناً ، ويرفض الجرى وراء الملذات ، ويضبط شهوات جسده ويخضعها لمتطلبات الروح ، ويدرب جسده بأصوام وصلوات ومطانيات ونسك حتى تسمو غرائزه وتتهيأ شخصيته كى تكون مجالا للحب والنضج والإحتمال ... مثل هذا ينطبق عليه قول الرسول بولس « مكتئبين فى كل شىء لكن غير متضايقين » ٢ كو ٤ : ٨ « كحزانى ونحن دائماً فرحون ، كأن لا شىء لنا ونحن نملك كل شىء » ٢ كو ٦ : ١٠ ...

لقد وعد الرب هؤلاء الطوباويين الحريصين على عفتهم وطهارة أجسادهم ونفوسهم أن حزنهم سيتحول إلى فرح وسيمسح الرب كل دمعة

من عيونهم ، وسيلبسهم الثياب البيض لأنهم بيضوا ثيابهم فى دم الخروف ولم يحبوا حياتهم حتى الموت ...

• **ولماذا لا يشبع العشق الانسان ؟؟**

يقول احد المفكرين المسيحيين رداً على هذا السؤال « إن الجنس من الأسباب الرئيسية للعزلة الإنسانية ، إنه يحدث انقساما عميقا فى الانا التى هى بطبيعتها ثنائية الجنس . . فهى ذكر أو أنثى ، ووجود الجنس يقتضى الانفصال والحاجة والشوق والرغبة فى أن يجد المرء نفسه فى الآخر . . بيد أن الاتحاد الجسدى للجنسين — وهو الذى ينهى الشهوة الجنسية — ليس فى حد ذاته كافياً للقضاء على العزلة بل إنه على العكس من ذلك قد يزيد من شدة شعور الإنسان بعزلته ... ذلك لأن الجنس باعتباره ظاهرة بيولوجية واجتماعية له طابع موضوعى، ومن ثم ، فهو عاجز عن الانتصار على العزلة انتصاراً كاملا .. أما المحاولة الحقيقية للتغلب على العزلة فلا تكون إلا بالاتحاد الروحى .. فالحب هو أمل الإنسان الوحيد فى الانتصار على العزلة .. والحب حقا هو أفضل الوسائل لبلوغ هذه النهاية لأنه هو وحده الذى يستطيع أن يحقق الاندماج الكامل مع كائن آخر !! »(٨)

ولما كان العشق والحب الجسدى هو التقابل مع الآخر على المستوى الجسدى دون الانفعال الروحى ، فإن مثل هذا النوع من الحب لا يشبع الانسان لأنه لا يقضى على العزلة والفراغ الداخلى .. والكائن البشرى

ليس جسداً فقط وانما هو روح وجسد ، والاتصال الروحى هو الذى يحقق الصلة الحميمة . وفى هذا يقول القديس يوحنا ذهبى الفم فى عظة ٣٣ شرح كورنثوس الأولى [الحب الحقيق فقط هو الذى يستطيع أن يجعل كائنين كائناً واحداً] .. وأما الانفعال الجسدى فهو إن انفصل عن الاتصال الروحى الحقيقى فإنه لا يحقق الوحدة ولا يشبع النفس .. إن الحب يفرح بالتلاق فى الانفعال الجسدى ولـكنه لا يتحقق إلا بالاتصال الروحى ..

لهذا كل من يشرب من ماء العشق الجسدى يعطش ، أما الذى يشرب من ماء الحب الحقيق لن يعطش إلى الابد ..

صلاة

يارب ! إن العالم اليوم تسوده جنسية معيبة وتسيطر عليه انحرافات خطيرة .. إن سر الاثم هو العامل فيه ..

فليتك يا سيدى تحمى أولادك وبناتك من الفساد والانحلال السائد .. كما حرست لوط البار فى مدينة العار والهلاك

ليتك يا إلهى تسند كل محبيك الذين يجاهدون ضد حركات الجسد واهوائه وميوله المنحرفة .. انزل يا سيد بنفسك وكن معهم فى وسط الاتون كى تحميهم من لهب الشهوة الحارقة واحفظ أثوابهم طاهرة حتى لا تمسها رائحة دخان الخطيئة .

حسبما فعلت سابقاً مع عبيدك الفتية الامناء الثلاث .

٣ — بين الحب والصداقة الجنسية

• الزمالة

+ هناك صداقة الدراسة أو العمل وهى التى يطلق عليها الزمالة ؛ وهذه تختلف عن الصداقة الجنسية التى تتميز بالتخصص ، وانشغال الفكر والوجدان بموضوع الصداقة .

أما الزمالة الطاهرة فهى التى ترفض التخصص ، وتبادل العواطف بطريق أو آخر أمر يمارسه المسيحى فى حياته الدراسية والمهنية دون أن يكون هناك خطر ما ؛ بل هو دليل على صفاء شخصيته وعدم انحرافه وخلوه من العقد الجنسية الداخلية ...

وهكذا بدلا من أن ينظر الشبان إلى الفتيات نظرة سطحية تقوم على الاغراء الجسدى والتفاهة العقلية والجمود الروحى ، فإنهم ينظرون إليهن على أنهن زميلات وصديقات ، بينما تستجيب الشابات اللاتى أحسنت تربيتهن لهذا ويستطعن أن يعرفن الشبان معرفة تتسم بالامانة والطهارة .. »[٩] .

والمسيحى المخلص لعفته يحرص على أن تبقى علاقات الزمالة فى

اطار العمومية وطهارة الفكر ونقاوة القلب وبساطة العين ، وفى اطار العمل المشترك الهادف دون أدنى ممارسة لعمل من أعمال الظلمة ؛ حتى لا يدان من جهة الضمير أو ينزلق إلى مهاوى العشق وصداقة اللذة . .

صداقة اللذة

وهناك صداقة أسمها صداقة اللذة ، وهى صداقة انانية ، هوائية ، سريعة التحول ، سهلة الأنقلاب...هذه يسميها بعض الشباب الحب... ولكنها فى الحقيقة مجرد إندفاع عاطفى يستند إلى الرغبة فى التمتع والبحث عن الملذات دون أن تكون له أية صبغة دائمة أو أى مظهر من مظاهر الإستقرار ...

وهناك بعض الشباب ينادون فى هذه الأيام ـ تأثراً بالروح الغربية ـ بالحرية فى إقامة الصداقات الجنسية قبل الزواج ... وهم يستندون فى وجهة نظرهم هذه إلى أن صداقاتهم بريئة وليس فيها أدنى انحراف جنسى وأن مثل هذه الصداقات تشبع الميول الداخلية وتسمو بالدوافع الجنسية ، وأن العلاقات البعيدة عن الانحراف الحسى ضرورة حتى يكتشف كل واحد الآخر ، لعله يجده متكافئاً معه نفسياً وروحياً ، فيقبل على أن يكون شريكا للآخر فى الحياة الزوجية .

لنناقش هذه الاراء باختصار :

عندما نبحث شروط الحب الحقيقى — وهذا ما سنعالجه فى الصفحات المقبلة — سنرى أنه يشترط فيه تحقيق الإلهام والحرية والنضج والالتزام الزوجى ... وإذا ما طبقنا هذه الشروط على العلاقات العاطفية بين الشاب والفتاة قبل الزواج نجـــدها غير متحققة ، فالشاب الذى يصادق فتاة لاجل أن يختبرها ، ويعيش معها فترة ثم يتركها ليـكتشف غيرها ، إنما هو عابث يتلهى بالصداقات كما يتلهى الطفل بالحلوى والفاكهة...وهو لن يشبع لأن الشبع الحقيقى هو فى القضاء على العزلة ، وهذا لا يـكون إلا بالحب الذى يتجه أولا بالذات نحو القرار الباطنى العميق لذلك الآخر الذى نبغى النفاذ إليه ...

والشاب فى مرحلة التلمذة — سواء الثانوية او الجامعية — لا يكون قد أكتمل نضجه نفسياً وبدنياً وفكرياً ، وهذا يجعله فى أغلب الاحيان متذبذباً فى أفـكاره ، غير مستقر فى مشروعاته . هوائى إلى حد كبير فى علاقاته ، تحركه العواطف والمشاعر والانسجامات النفسية أكثر مما يقودة الفكر الرصين والالتزام الامين والتعهد الواعى والوفاء الحقيقى...

والشاب الذى لم يصل بعد إلى مرحلة الزواج غير متمتع بحريته الـكاملة ... فهو ليس حراً إجتماعيا لأنه مرتبط بارتباطات عائلية وإجتماعية كثيرة ، وهو ليس حراً مادياً لأنه مرتبط بالتزامات مادية كثيرة تحول بينه وبين التنفيذ العملى للزيجة ...

هكذا نرى أن شروط النضج والحرية والالتزام غير متوفره تماما فى علاقات الصداقة الجنسية التى تقوم بين الشبان والفتيات قبل الأقدام الفعلى على الزواج ...

أما عن الالهام فهو أكتشاف روحى يحدث للمؤمن عندما يتأكد ان الله قد أعلن له عن شريكة حياته باعلان باطنى واضح ، وأن هذه الفتاة لا ينجذب إليها عاطفيا فقط ، وانما على مستوى الحب الحقيقى ...

من أجل هذا لشجب أى علاقة شخصية بين الشاب والفتاة قبل الوصول إلى مرحلة الخطوبة والإعداد للحياة الزوجية ...

الشاب المسيحى لا يتعجل ولا يطلب أن يستولى على قلب الفتاة بطرق بشرية ، إنما هو يريد أن يستلمها من يد الله وليس من يد إنسان. إن المحبة تلزم الشاب ألا يؤذى عفاف الفتاة وحشمتها ووقارها ، ولهذا فهو يرفض أى مسلك يخرج به عن هذه الحشمة وهذا الوقار ...

والشاب المسيحى لا يحزن إذا وجد أن الفتاة التى فكر فيها يوماً قد تزوجت بغيره ، فهو كمحب يفرح لراحة الآخر ، وكمؤمن يثق أنها لم تكن مختارة له شخصيا ...

والشاب المسيحى لا يجرى وراء العلاقات العاطفية ظناً منه أنها

تكسبه خبرة ودراية بالعلاقة التى يلزم أن تكون بين الزوج والزوجة ... لأنه حريص على أن يبقى إنفعالاته النفسية مرتبطة بانفعاله الروحى ، وهذا يجعل شخصيته متكاملة نامية قادرة على أن تعبر عن إخلاص الحب وصدق العفة التى فى حياته وهكذا تكون العلاقات الجسدية فيما بعد بينه وبين زوجته تعبيراً عن هذا الحب والاخلاص الذى ينمو فى قلبه لها بتوالى الايام ...

هناك فارق جذرى بين عواطف العاشقين وبين حب المتزوجين المخلصين الملتزمين بمسئولية الشركة وانجاب البنين والبذل المشترك للآخرين ...

٤ — وهل الشفقة والعطف على شخص من الجنس الآخر هى حب ؟؟

المسيحية هى ديانة الشفقة والرحمة ، والرب يسوع ضرب لنا مثالا عملياً عندما رحمنا وأشفق علينا ، وبذل نفسه لاجلنا ونحن أموات بالخطايا والذنوب ... ثم قدم لنا مثل الابن الضال ومثل السامرى الصالح كى نكون شفوقين عطوفين . وفى هذا يطالبنا الرسول بولس أن نكون لبعضنا شفوقين متسامحين كما سامحنا الله فى المسيح يسوع ...

ولكن هناك أنواع من الشفقة ...

هناك شفقة قد تكون فى بعض الاحيان مظهراً من مظاهر الانانية عندما يشفق الإنسان على أخيه كى يتعزى بهذا عن آلامه الخاصة فتكون

الشفقة هنا مجرد صدى إشفاق الإنسان على نفسه ، كأن لسان حاله يقول إنى أخاف أن اقع فى مثل هذا المصير ، فيسرع إلى عمل الشفقة فزعاً من موقف يخشى يوما أن يكون هو أحد اطرافه ...

وهناك شفقة قد تكون فى بعض الاحيان مظهراً من مظاهر الإذلال للشخص الذى نشفق عليه ، ذلك عندما تحمل الشفقه معانى الاستعلاء ؛ وعندما يجرح المحسن كرامة الشخص الذى يعطف عليه...

وهذا ما يحدث عندما يعطى إنسان غنى متكبر أحد الفقراء لكى يتمتع نفسه باذلال الشخص الواقف على بابه فترة طويلة ينتظر احسانه ، فالشفقة لا تكون محتملة إلا إذا كانت منطوية على حب ، والشفقة تكون بدون حب عندما لا ننفعل لآلام الآخرين ؛ وعندما لا نشعر نحوهم بأية محبة حقيقية أو أى تعاطف صادق ...

من أجل هذا تحرص المسيحية على أن تكون أعمال الرحمة والشفقة فى الخفاء ، وفى اتضاع ، وفى حب شديد ، وفى شخص المسيح يسوع مع إخفاء الجانب البشرى خلف الصليب ...

وبالنسبة للجنس الآخر فقد تكون أعمال الشفقة نوعاً من الخداع الجنسى الذى تحدث عنه فرويد كثيراً ، فالشاب المراهق الذى يذهب ليساعد قريبته الطالبة فى مادة الرياضة أو اللغة الإنجليزية — على سبيل

المثال — ، وهو هادف إلى التلذذ بالنظر ، إنما يحمل عمل الشفقة عنده خداعاً جنسياً يلزم مواجهته . .

والطبيب الذى يشفق على ممرضته اليتيمة ليس لاجل يتمها فحسب ولكن لأجل جمال جسدها أو رقة شخصيتها ورغبة منه فى إيجاد علاقات تعاطف بينهما .. إنما يخفى وراء عمل الشفقة بداية عشق جنسى يحتاج إلى مصارحة وكشف أمام الضمير وأمام أب الاعتراف .

والحب الجنسى أحيانا يأتى على أعقاب شعور حاد بالشفقة ، ولهذا يلزم أن يمتحن الإنسان نفسه فى علاقات الشفقة مع الجنس الآخر سواء كان متكافئاً أو غير متكافىء فى السن أو المركز الإجتماعى حتى لا ينزلق إلى مهاوى العشق ... وإذا أحس الإنسان بإنجذاب عاطفى فليفحص نفسه لئلا يكون مسوقا بالغرائز ، والإنفعالات ... أما إذا وجد الحب عنده متوفر الشروط من إلهام وعفة وطهارة ونضج وحرية وإلتزام ، هنا تكون عمليات الشفقة قد مهدت إلى زيجة ناجحة خالية من عبث العاشقين وإستهتارهم ...

صـــــلاة

يارب، إن الحية القديمة لا تزال تتلون بأشكال لئيمة وطرق مكيرة خبيثة لكي تخدع أولادك ، وتسقطهم فى حبائل الدنس وشباك العشق والهوى الجنسى ...

فاسمح ياسيدى أن تعطى عبيدك بصيرة روحية نفاذة تحميهم من الفخاخ وتكشف لهم كل خداع ابليس ... واسمح لروحك القدوس أن يطهرنا جميعاً من دنس الجسد والروح وينقلنا إلى سيرة روحانية لكي نسعى بالروح ولا نكمل شهوة الجسد كي نحيا فى النور ، ونلبس أسلحة النور ، ونكون أبناء قيامة ونور .

٥ — ما هى مقومات الحب الجنسى الحقيقى :

العامل الأول : النضج بكل معانيه :

بالرغم من أن عملية النضج نسبية ، وأن الإنسان كلما تقدم فى حياته يرى نفسه فى إحتياج إلى نضج أكثر وأعمق ، إلا أننا نعنى بالنضج هنا تكامل الشخصية فى نموها الجسمى والنفسى والإجتماعى والروحى ...

« ١ » النضج الجسمى :

وهذا يتطلب عناية بالبدن منذ الطفولة ، واهتماماً واضحاً من الأم بعمليات التغذية والصحة والنظافة وكافة العمليات البيولوجية الأخرى. فالإنسان الهزيل فى صحته والمريض دائماً فى بدنه ، والذى يحمل عاهات مستديمة واضحة قد يتعطل إستعداده للحب الحقيقى ، لأن الجسم يشارك الروح جميع عمليات الشركة التى بين الزوجين ...

هذا بالإضافة إلى أن الوحدة القائمة بين البدن والنفس فى الشخصية إذ تؤثر الأمراض الجسمية على حياة الإنسان النفسية تأثيراً سيئاً ...

والشاب أو الفتاة التى تعتنى بنظافة وصحة بدنها وتحمى جسمها من العادات الجنسية الرديئة ، وترفض أن تجرح عفة جسدها حرصاً على الحياة الزوجية المرتقبة إنما تمثل نموذجاً طيباً لمن يفهم حياة العفة ويقدر قيمة النضج الجسمى فى الحب الحقيقى ...

«ب» النضج النفسى والاجتماعى :

وهذا يعنى الفطام والانفكاك من جميع الأربطة النفسية التى تعطل انطلاق النفسية نحو النضج الحقيقى ، فالطفل النامى هو الذى تخلص من النرجسيه (التعلق الشديد بذاته وجسمه) والاوديبية وعقدة الكترا (الارتباط النفسى غير السليم بالأم أو الأب) .. إنه ما أن يصل إلى المرحلة الأبتدائية حتى يكون قد أصبح مستعدا للاستقلال الشخصى ، حتى إذا جاءت مرحلة المراهقة فإنه يعبرها فى اتزان وهدوء ووعى وبصيرة رافضا العلاقات العاطفية السطحية حريصا على أن يحفظ طاقاته النفسية كذخيرة لازمة للحياة الزوجية المرتقبة .

هكذا يكون الاتزان والقدرة على الاستقلال فى الشخصية ونمو الدافع الجنسى إلى مرحلة الغيرية والأحادية الزوجية والاستعداد المستمر للبذل وعدم التمركز حول الذات علامات أكيدة ودلالات واضحة على النضج النفسى والتأهل للحياة الزوجية والحب .

- فى الطفولة يقول الطفل إنى أحب لأننى محبوب ...
- وفى المراهقة يقول المراهق انى محبوب لأننى أحب ...
- وفى النضج يقول الشاب انى أحب لأننى لا أستطيع الا أن أحب ...

إن العجز عن الحب ينبع من فقر الشخصية .. أما الشخصية المتماثلة فى الداخل ، ولها سر كيانها الداخلى ، الغنية بالتفاؤل والايجابية فهذه هى القادرة على أن تحب وتبذل بذلا حقيقياً .

«د» النمو الروحى :

ونقصد بالنمو الروحى هنا أن يكون الشاب قد تذوق محبة الله وعذوبته ، وصارت له شركة مع الرب فى عشرة يومية وألفة مستمرة وعلاقة تزداد رسوخاً بتوالى الايام ...

وعلامات هذا النمو أن يكون الشاب واقفا ضد ذاته وانانيته مستعداً دائماً للتضحية والبذل ، وأن يكون عفيفاً جنسياً قد تغلب على شهوات الجسد وأهوائه وصارت له الحواس الطاهرة والعين البسيطة والقلب النقى ، وأن يكون قادراً بنعمة الله على القيام بعد السقوط والعثرة مستفيدا من العثرة كى لا يسقط ثانية .

وهذا النمو الروحى لازم للحب الجنسى لأنه الشرط الأول لقيامه وضمان نقاوته وطهارته ونظافة جوهره ..

ما الذى يطمئن الشاب أن النداء الداخلى والالهام والانجذاب نحو الآخر هو حب وليس عشقاً ؟ ! إلا إذا كانت شخصية المحب لها حياة روحية صادقة ، وعندها برهان داخلى أن روح الله يعمل بوضوح ، وأن الضمير صادق ومخلص لله وغير منقسم .

فى هذا يقول أحد الآباء إن الحب ينبع من الحب الالهى بين الرجل والمرأة ، وهو يتفتح ويتجه نحو الله ...

فالحب الذى ينسكب بالروح القدس فى قلب الشاب هو وحده القادر أن يقدس مشاعره وأفكاره وحواسه ويؤهله لذبح الزيجة المقدسة ومضجعها الطاهر .

العامل الثانى : الحرية

ويرتبط بالنضج النفسى والجسمى والروحى عامل الحرية أيضاً لأنها أهم علامة للرجولة والنضج ..

ونقصد بالحرية هنا التحرر الداخلى والخارجى . أما التحرر الداخلى فهو ما ذكرناه سابقاً أن يكون الإنسان قد تخلص من مركزية الأنا وعقد النرجسية والأوديبية والرومانسية ، والتحرر الداخلى على الصعيد الروحى مع الالتقاء مع ابن الله كى يصير الإنسان حرا غير مستعبد لخطاياه ، صالبا الإنسان العتيق والاهواء والشهوات ..

والتحرر الداخلى على الصعيد النفسى هو النضج والنمو النفسى السليم.

« قد يبحث المحب لا عن قرين أو رفيق بل عن بديل للأب والأم وذلك فى حالة تعلق البنت بأبيها تعلقا جنسياً لا شعوريا ، أو تعلق

الشاب بأمه .. والحب الشعرى ينمو فى الغفلة والاحلام وكثيراً ما يكون مآله الخيبة واليأس . أما الحب الذى يريد أن يكون رباطاً قوياً وثيقاً بين اثنين جسماً وقلباً وروحاً ، وأن يكون درعاً قوياً لوقاية الزوجين من أحداث الدهر فيجب عليه أن يكون يقظا من حين إلى آخر ، وأن يقوم على دعامة الوجدان النقى والعقل المستنير .. إن الالحاح الذى يبديه أحد الزوجين فى أن يكون الآخر شبيهاً به كل المشابهة لا يرجع إلى قوة الحب وكماله بل إلى ضعفه ونقصه .. إن الشخص هنا لم يتحرر من عبوديته لنفسه » (١٠)

يلزم للمحبين أن ينظر كل منهما للآخر على أنه يواجه كائناً حياً وشخصا واقعيا باخطائه ومواهبه ، بحسناته وزلاته ، لا مخلوقاً خيالياً يتصوره حسب رغباته أو مخاوفه . . يلزم إذن التحرر من آثار الماضى وبصمات التربية الأولى وتراث التاريخ القديم فى حياتنا والعوامل اللاشعورية التى كثيراً ما تلوث العلاقات الصافية الطاهرة بين الشريكين .

[الحب والحرية يطرحان الخوف والقلق إلى خارج ..] .

وإذا كان كل من المحبين يشعر بأنه يهب نفسه للآخر فى جو من الحرية والتقدير المتبادل فلا شك أن هذا الشعور بالحرية أقوى عامل من عوامل إسعاد الحياة الزوجية وتدعيم أواصر الحب والاتحاد .

أما الحرية الخارجية فنعنى بها ألا تكون هناك ظروف خارجية ضاغطة يعيبها الفرد عند تحديد شريكة حياته كأن يكون ملزماً بأن يتزوج من فتاة يكون لها أخ يتزوج أخته كما تعمل بعض العائلات أحياناً لا مانع من أن يحصل هذا الترابط الوثيق ولكن على شريطة ألا يكون تضحية إجبارية من الطرفين تنغص على الجميع حياتهم إن وجود شرط يمنع حرية الإنسان فى إختيار من يحبها ، هذا يهدد الأسرة منذ بداية نشأتها ... وما نقوله على خطورة عامل حتمية تبادل الزواج نقوله أيضا على وجود عامل حتمية الإلتزامات المادية فى العلاقات الزوجية التى إن دلت على فقدان شرط الحرية الخارجية فهى تدل أيضا على فقدان الحرية الداخلية . ومعنى ما نقوله أن المال والأثاث وما يتعلق بهما لا يلزم أن يكون عاملا متحكماً فى علاقات الإنسان بمن يحبه ويختاره شريكاً لحياته ...

« يقول باسكال إننا لا نستطيع أن نحب حبا كافيا إلا إذا أحببنا حبا زائدا ، وربما كان الحب هو الشىء الوحيد الذى لا يكون جميلا إلا إذا إقترن بالإفراط والسرف ، أستغفر الله ... بل أن السرف نفسه هو الحب فإن المعيار الأوحد للحب هو أنه ليس له أى معيار .. »

هكذا تكون الحرية الداخلية والخارجية والقدرة على البذل ، والتناهى فى هذا البذل إحدى المقومات الأساسية لحياة الحب .

العامل الثالث : الجاذبية والالهام

عندما يكون الإنسان جسديا ، فإن ما يجذبه إلى الآخر هى الأمور الجسدية ... وعندما يكون الإنسان نفسانيا ، فان ما يجذبه نحو الآخر هى الأمور النفسية. وعندما يكون الإنسان روحانيا ، فان ما يجذبه تجاه الاخر هى الأمور الروحية ... وفى إطار الجنس فإن الجاذبية هذه لها مستويات عدة ...

المستوى الأول : الجاذبية الجسدية البحتة ، وهذه تكون عند المراهقين غير المتدينين عندما يكونوا مسوقين بشهوات أجسادهم فإنهم ينجذبون إلى كل فتاة لا لشخصها وإنما عشقا فى جسدها . وهذا العشق الجسدى هو أحط أنواع الحب الجنسى كما سبق الذكر لأنه متغير ، أنانى ، ترابى لا يحقق الوحدة ، ولا يشبع النفس الإنسانية ...

المستوى الثانى : الجاذبية النفسية ، وهذه تكون عند الذين انتهوا من مرحلة المراهقة ولايزلوان يعيشون حسب الجسد . فنجد هنا الطالب الجامعى ينجذب نحو الفتاة لا لاجل جمالها وإنما لاجل قوة شخصيتها وغزارة علمها ورزانة طبائعها ...

وهذا الانجذاب ، وإن كان ارقى من سابقه ، الاانه مسيحيا ينظر إليه على أنه ترابى المصدر لأن الجسدانية والنفسانية هى خصائص المولودين من الدم ومشيئة الجسد كما يعبر القديس يوحنا . وحينما تكون الجاذبية

الجنسية لاشخصية تكون ينبوعا لأبشع الانحطاطات وأذل العبوديات للنفس الأنسانية ...

المستوى الثالث : وهو الجاذبية الروحية ، وهذه تكون لدى الناضجين الروحيين الذين تخلصوا من الربط النفسية التى تشدهم نحو التخلف وعدم التقدم ، والذين صلبوا الجسد مع الاهواء والشهوات ، والذين عرفوا كيف يعيشون حسب الروح وليس حسب الجسد ...

هولاء فى نضجهم يحدث عندهم إلهام ونداء وجاذبية لا يكون مصدرها الجسد ولا النفس ،ولكن الروح أولا وقبل كل شيء ...

وفى هذا المضمار تتحول الغريزة وجاذبية الدافع الجنسى إلى ضرب من السرية ؛ ويصير الحب فيها نداء ، أو دعوة صافية شفافة نقية ...

ليس معنى هذا أن الشاب الروحى المتقدم إلى الزواج تخلو الجاذبية الروحية عنده من القبول الجسمى والنفسى ، ولكن عناصر الجسد والنفس خاضعة عنده للنظرة الروحية والإلهام الإلهى والإتجاه الروحى المسيحى الحقيق .

وكما حدث لتلاميذى عمواس إلهاما عن طريق كسر الخبز ، فإن هذه اللحظة المباركة موجودة أيضاً فى الحب. إنها لحظة طاهرة جداً فيها يتذوق الأحباء طعام الملائكة ، ويتعارفون فى إستعلان مباشر فجائى ، وكما يشق

البرق الظلام يرى الأحباء بعضهم بعضا .. فالمحب يرى نفسه[1] فى المحبوب كما فى مرآة ، كما يستجيب الوجه للوجه فى الماء هكذا قلب الإنسان يستجيب لقلب الآخر (امثال سليمان ٢٧ : ١٩) .

وإننا لا نقصد بهذا الإلهام ما يقوله أهل العالم عن الحب من أول نظرة ، ذلك الحب السطحى الشهوانى الذى تحركه شهوة العين والجسد، وإنما نقصد به الإعلان الداخلى الطاهر المتحرر من كل دون جوانية تماماً ... فيه يكون الآخر ذا جاذبية خاصة لا يمكن إستبداله ... وهذا التخصص الشخصى مع التسامى بالغريزة الجنسية هو ما يميز الحب الانسانى عن العشق الجسدانى ...

والذى يضمن للشاب الروحى القدرة على تحمل متاعب الحياة الزوجية والتحديات الكثيرة أمامها أنه إذا ذبلت النضارة الجسدية وتعرضت للامراض والعلل المتوقعة ، وإذا أصابت الشخصية المحبوبة بعض المتاعب النفسية والضيقات الداخلية غير المستغربة ، فان رابطاً قوياً لا ينفصم عراه يبقى بين الزوجين المحبين ألا وهو الإتحاد الروحى والإنسجام القلبى الروحى الحقيقى القائم على النظرة السليمة المشتركة ، والهدف الواحد ، والحب الواحد ، والإيمان الواحد ، والرجاء الواحد،

---

(١) ليس المقصود هنا الذات بمعناها الردىء المعروف .

والثقة واليقين الشديد فى إختيار الله ودعوته لكل واحد منهما وتدخل الله الواضح فى حياتهما .

العامل الرابع : الالتزام الزوجى

لا حب جنسى إلا من خلال الزواج، ولا زواج إلا من خلال الحب.

« لأن كل حب خارج الزواج يحمل جرثومة تحطيم نفسه إذ يكون فاقداً القدرة على تكوين الشركة ... فالنفس البشرية لا تستطيع أن تجرد الحب الجنسى من تعبيره الطبيعى الجسدى ، فالجسد فيه لابد أن يكون له نصيب ، وهى لا تستطيع أن تقاوم بصفة مستمرة فرصة حمل الثمار إذ أن الحب الجنسى الحقيق لا معنى له بدون العائلة والطفل ... »(١٣)

وهنا نخالف كير كجارد الذى يرى أن الزواج يقضى على الحب .. ووجهة نظر كير كجارد أن عاطفة المشاركة التى تنشأ بين الرجل والمرأة لابد من أن تضعف تحت تأثير الحياة العادية الرتيبة ، وأن هناك إستحالة تحقيق التوافق بين حياتين روحيتين غير متكافئتين ، كما يرى عدم تساوى الطرفين المشتركين بحيث لا يستوعب أحدهما الآخر ، وتمتد أخطاء كير كجارد إلى حد أنه يتهم المرأة بالأنانية فى الزواج عندما يقول إن المرأة تلتهم الرجل بمجرد أن يصبح زوجاً لها (إرجع إلى كتاب مشكلة الحب لزكريا إبرهيم . ص ٢٩٠) .

نحن نخالف هذا الفيلسوف لأن الزواج ليس هكذا عند المسيحيين

فالمرأة لاتلتهم الرجل، ولا الرجل يجرى وراء شهوته الجامحة فى الزواج، لأن المسيح فى سر الزيجة يلغى عقدة النقص التى عند المرأة ، وعقدة التسلط عند الرجل . فالمرأة لا تعود تصبح ابنة لحواء تسعى إلى إمتلاك الرجل لشعور دفين بنقصها عن الرجل ، ولا الرجل يسعى إلى إذلال المرأة والسيطرة عليها لشعور عميق بالتعالى عليها ... فى المسيح يسوع ليس ذكر ولا أنثى ، بل الزوجة تهب وتحترم زوجها ، والزوج يحب زوجته كنفسه ، وهكذا فى إطار سر الزيجة تختفى العلاقات الناجمة عن العصيان وتظهر العلاقات الناجمة عن الحياة الجديدة التى فى المسيح يسوع .

طلبـــــــة

يا سيد

لقد علمتنا أن الحب الجنسى الحقيق هو الحب الملتزم بشركة الزيجة فاسمح يا إلهى أن يعرف كل من يريد أن يتزوج أن الحياة الزوجية ليست متعة الشهوة أو لذة الجسد ، وإنما هى شركة حب وبذل وصون للقداسة والعفة إنتظاراً ليوم مجيئك المبارك المملوء مجداً حين تأخذ مختاريك لمدينة الأبكار ...

إسمح لروحك القدوس أن يعد أولادك وبناتك للبذل الحقيق إما فى حياة زوجية صالحة أو فى بتولية نقية طاهرة .

الموضوع الثاني

الحب الزوجي

- مركز الحب الجنسي في الحياة الزوجية
- سمات الحب الطاهر في الزوجية
- عمل السر المقدس في الحب الزوجي
- دور الجنسية في الحب الزوجي
- التحديات أمام الحب الزوجي

١ – مركز الحب الجنسى فى الحياة الزوجية

- هو أساس للحياة الزوجية .
- له سمات تختلف عن الحب عند أهل العالم .
- هو على مثال حب المسيح للكنيسة .

اساس الحياة الزوجية منذ بدء الخليقة

منذ البداية كان الكائن الإنسانى كائناً زوجيا[١] ، وفى اليوم الذى خُلقوا فيه دعاهم الله رجلا (تك ٥ : ٢) ، ويلاحظ ذهبى الفم بأن الله يتكلم عن الإثنين بوصفهما واحداً ، والله يخاطبهما دائماً كشخص واحد .. وهذا يعنى أن الله كان يقصد من وجود الرجل والمرأة أن يتحدا ولا يكونان أثنين بل وحدة واحدة[١٤] .

لقد قال القديس ثيئوفيلس الانطاكى « لقد خلق الله آدم وحواء ليحققا الحب العظيم بينهما ليعكس سر الوحدة الإلهية »[١٥]

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم . « حينما يتحد الزوج والزوجة فى سر الزيجة لايبدوان بعد ذلك كأنهما شىء أرضى بل يظهران صورة الله نفسه ... »

---

(١) تبين دراسات علم الأجنة أن الجنين يبدأ ذكراً وأنثى معا ؛ ثم بعد ذلك تتحدد السمات الجنسية وتنفصل العوامل الذكرية عن الانثوية ...

والقديس اكليمنضس الاسكندرى يدعو الحياة الزوجية الطاهرة مسكنا لله وبيتاً له إذ يقول « من هم الاثنان أو الثلاثة المجتمعون باسم المسيح الذى يكون هو فى وسطهم مت ١٨ : ٢٠ أليسوا هم الرجل والمرأة اللذين وحدهما الله . .

وهناك صلاة قديمة من أجل الأزواج تقول « يا الله إنك بأخذك المرأة من الرجل عند خلقك إياها قد شئت بهذه الاعجوبة عينها أن تكون بينهما وحدة زوجية وتربط بينهما بسر الحب » .

وفى صلوات الاكليل المقدس فى كنيستنا القبطية يقول الكاهن « أيها الآب إلهنا جابل كل الطبائع الذى جبل الإنسان من الأرض وأصلحت له معينة من الضلع الذى أخذته منه ، ووفقتها لشركة الزواج بالحياة والنمو الدائم ... »(١٦)

فالزواج فى وجهة نظر المسيحية ، شركة حب وبذل ، وهذا نسك عميق ، والاكليل الذى يوضع على رأس كل من العروسين إنما هو رمز لاكليل الشهادة ... فالبعض ينال إكليل الشهادة فى لحظة سعيدة بينما يعرف غيرهم إستشهاد الحب الذى بكلمهم فى الداخل ، وهو أمر غير مرئى من العالم لأن العالم لا يقدره إذ أن المعرفة الحقة للحياة الزوجية تختفى فيها البطولة خلف ستار الحياة العادية .

كم من زوجات أو أزواج احتملوا الآلام والأمراض والاتعاب فى

حياتهم الزوجية !! واستمر العذاب سنين طويلة وكان الحب الذى فيهم قادراً أن يعطيهم الغلبة وتجاوز الضيقة بصبر وشكر وتعزية مشتركة ..

إن كأس الحب المشترك يبين خلال شفافيته محور الحياة الزوجية التى تدور حولها أفلاك السماء ..

الحياة الزوجية حياة حب وفيض للنعمة ..

إنها حياة بذل وخدمة مشتركة ، وما كانت يوما مجالا للسيطرة أو التسلط أو المنفعة ..

لجبل طابور له منحدران أحدهما مسلك الرهبان والنساك والآخر طريق الباذلين فى الزواج ، وكلاهما يصعد فى صبر وجهاد وحمل للصليب ، وعند القمة هناك اقتناء الروح القدس للفريقين ... والذين يصلون إلى القمة من الناحيتين سواء كانوا رهبانا أو متزوجين فإنهم يدخلون راحة الله ويعيشون فى فرح الرب الذى لا ينطق به ومجيد ..

٢ — سمات الحب الطاهر فى الزوجية :

+ إنه حب لا يتمركز حول الذات بل يستند إلى التضحية بالذات ويرتكز على العطاء ، ويقوم على التعقل والاستقرار والوفاء المتبادل . فى الحب الزوجى يفقد الإنسان الذاتية المستقلة والأنا المنغلقة منفتحا نحو عطاء النفس للآخر دون انتظار للمنفعة ..

+ ثم هو حب غير مسبب وغير محدد ببواعث ، ولكنه يبرر وجود نفسه، فهو لا يقوم على دوافع وبواعث ومثيرات خارجية ولكنه يستمد كيانه وجوهره من سر الحب الداخلى فهو حب مبدع خلاق .. وهو يقبل المحبوب (على علاته) كما هو . . إنه يقبله كشخص وليس كموجودات .. إنه يتعامل معه على مستوى الكينونة وليس على مستوى الملكية ...

+ ثم هو حب يقدس الغريزة الجنسية ويفتديها .. فالعلاقة الجسدية بين الزوجين لا تكون كريهة أمام الله الذى هو سبب الحب الروحى الذى يملأ قلبى الزوجين ويوحدهما فى شركة واتحاد روحى عجيب .

إن حركة المحبة الباذلة هى التى تفتدى الشهوة وتخضعها لنعمة الله الفائقة الغنى .

+ ثم هو حب رزين غير متهور أو مندفع أو طائش ولكنه يعى التزامات الحياة الزوجية ومسئولياتها ،ويقدر كل متاعبها ،وعنده امكانية احتمال المعاناة مهما كانت ثقيلة ...

+ هو حب واقعى وليس خيالى كما فى احلام المراهقين ؛ وهو حب ملتزم بالشخص ، وليس نوعا من التلهى وراء اللذة الحسية .. فهو حب باذل غير نفعى ، يتأنى ويرفق ، لا يطلب ما لنفسه ، ولا يحسد ، ولا يتفاخر ، ولا يغار ولا يخاف .. لأنه لا خوف فى المحبة (١يو٤:١٨)

+ هو حب قوى (المحبة قوية كالموت . نش ٨ : ٦) لأنه يستمد كيانه من الحب الالهى ... (ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به ، يو ١٧ : ٢٦) ولأنه بلا رياء فهو مبنى على الصخر لا تزعزعه رياح وعواصف الحياة .

يقول القديس يوحنا ذهبى الفم إن الحب الزوجى هو أقوى حب لأنه يعرف كل شىء كالإيمان ، ويرى ما هو مختفى عن أعين الآخرين ، إنه يملأ الاعماق الخفية نوراً وبهاء ...

+ وهو حب يعنى المعرفة الشاملة العميقة (عرف آدم حواء) الحب قوة شفافية نبوية كاشفة ، فالمحب يرى نفس المحبوب بوصفه نوراً فيبلغ من المعرفة الدرجة التى لا يبلغها إلا المحبون .

وآية هذا الحب أنها تمحو كل تباعد المسافة بين الأثنين ليكونا وحده نموذجا مباركا ومثالا حيا وشهادة واضحة فى العالم ...

+ وهو حب مثمر وفياض لا ينحبس فى جنبات الزوجين كما لا ينحبس النور فى أصابع الأيدى ... إن خصوبة الحب تتجلى بوضوح فى كونه يغير من نفوس أولئك الذين يحبون ، ولعل هذا هو السر فيما نلاحظه عادة من أن للحب دائما صبغة خلاقة أو طابعا إبداعيا ... وتبعاً لذلك فإن الحب عملية خلق متبادل لموجودين مترابطين يشعر كل منهما

بأنه فى حاجة إلى الآخر لأنه يحبه وإذا كان جوهر هذا الخلق أوالابداع هو التبادل فذلك لأن الحب قوة من شأنها دائما أن تولد الحب ، ثم أن هذا الحب يتدفق ليثمر ثمرة مباركة هى الطفل ... وهكذا يمتد الحب الزوجى ليصبح الحب الأموى والحب الأبوى أيضا ...

وهو حب له قدرة الانتصار على الموت ... يحول الزمنى إلى خلود ، والزائل إلى باقى ... فالفرح الذى ينسكب من قلبى المتزوجين بالروح القدس ، هذا يجدد الجسد ويضمن ديمومة الوحدة إلى الأبد ...

وفى هذا الصدد يقول ذهبى الفم (أولئك الذين يتحدون معاً حقاً يصيرون فى الدهر الآتى وحدة فى المسيح ووحدة مع بعضهم البعض فى فرح أبدى) .

وإذا قلنا إن الحب الزوجى يدوم إلى الأبد فما معنى قول الرب فى جوابه على الصدوقيين « إنهم فى ملكوت الله لا يزوجون ولا يتزوجون» هل يعنى هذا أن الزواج بكل وجوهه سيختفى ؟ الحقيقة أن ما له علاقة بالعالم المادى سيختفى مثل الاتصال الجنسى . هذا لن يستمر لأنه يصبح غير ذى موضوع إذ أن عدد المختارين يكون قد كمل وبهذا لا يكون هناك معنى للتناسل .. ولكن الذى يبقى فى الدهر الآتى الحب والشركة الباطنية .. إذ أن جميع أسرار الكنيسة ستختفى منها علاماتها الخارجية ، ولكن تدوم فاعليتها الباطنية.. فى الزواج يختفى الشكل ويبقى المضمون.

يقول جبريل مارسيل «متى قلت إنى أحبك فمعناه أنك لن تموت .

ويرتبط بديمومة الحب وبقائه واستقراره الوفاء الزوجى الحقيقى . وهو نوع من الحياة ، فيه يخلص كل شريك للآخر على أساس من الوئام والتفاهم والنية الصادقة القوية والمحافظة على الرابطة المقدسة جسمياً وروحيا ... هذه التى تجعل الزواج وحدة متماسكة متضامنة الأطراف ... ولا نقصد بالوفاء ذلك النوع المزيف أو السلبى الذى فقد روح الاخلاص واكتفى بالحياة الشكلية والرابطة المظهرية التى تبدو أمام الناس طيبة وهى تحمل فى طياتها نوعا من النكد والتبرم والكراهية وعدم التقدير والاغلال والموت » !

فالشعور الذى يربط الزوج هو الشعور بأن كلا منهما للآخر لا بأن الواحد هو ملك الآخر ، الشعور بأن الأثنين مكملان لبعضهما بعضا ، وتنمو شخصية كل منهما فى جو الحب والألفة والمودة والحياة الزوجية. هذه الوحدة التى نسميها بحق وحدة الحب الزوجى .

. الحب الزوجى أسمى من كل الفنون والعلوم فى اشباع النفس البشرية .. فالفنون والعلوم وإن أرضت تطلعات خاصة للنفس البشرية ، وسدت فراغ الحاجات المؤقتة إلا أنه من الواضح أنها لا تضفى مضمونا مطلقاً له اكتفاء ذاتى على الشخصية ، وبالتالى لا تتطلب خلودها .

الحب وحده هو الذى يتطلب هذا الخلود وهو وحده الذى يستطيع بلوغه

• هو حب على مثال حب المسيح للكنيسة .

فالوحى الالهى يقدم لنا الزواج على أنه سر اتحاد بين رجل وامرأة يتعهدان بأن يعيشا دون أن يفصلهما الموت ، فى علاقة حب متبادل واضعين نصب أعينهما التقديس الذاتى الشخصى وتقديس أطفالهم .. وعن طريق هذا التعهد الواعى ومن خلال سريان الحب المتبادل فان طبيعة الزوجين الجسدية الساقطة تتجدد لتؤهل إلى السكنى فى السماء الجديدة والأرض الجديدة ... فالحب الزوجى علامة للملكوت وشاهد له ...

ويرتبط الحب الزوجى بالفرح الزوجى فالمرأة تأتى لزوجها بفيض وعزاء لا ينقطع لكى يفرحا معا « أفرحى أيتها الزوجة وليكمل فرحك فى زوجك ... » والقديس اكليمنضس الاسكندرى يشير إلى النعمة الفردوسية حين يدعو الحب على التسامى فوق الارضيات والاتجاه نحو الجمال السماوى فى الحياة الزوجية ..

« ففى قانا الجليل يرأس الرب يسوع مع روحه القدوس العرس حيث يشربون الخمر الجديدة العجيبة التى تملأ النفس فرحا سماوياً .. إنه السكر العاقل الذى تحدث عنه أغريغوريوس النيسى والذى أتهم به الرسل يوم الخمسين .. وهكذا فان البنديكوستى الزواجى يجعل كل شىء جديداً » (١٩) .

ليس صدفة إذن حديث الرسول عن الحب الزوجى فى مجال حديثه عن حب المسيح والكنيسة .. « أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها. لكى يقدسها... كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم . من يحب إمرأته يحب نفسه . فانه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضا للكنيسة . لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه .. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكون الأثنان جسدا واحدا .. هذا السر عظيم ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة »(افسس ٥ : ٢٥ — ٣٣) فمن قول الرسول هذا يتضح جليا أن رباط الزيجة يصور اتحاد المسيح بالكنيسة ، وعلى هذا المستوى يكون الزواج سراً عظيماً ويكون رباط الحب الزوجى مقدسا ..

إن الزواج توقع للملكوت وتكوين للملكوت مصغر هنا على الأرض ...

إن أول اعجوبة صنعها الرب كما حدثنا يوحنا البشير أجراها فى عرس قانا الجليل . ومن أول الأمر تتكشف الجلجثة خلال هذه الأعجوبة — الماء المتحول خمرا — فيعلن بهذه الوسيلة ولادة الكنيسة على الصليب اذ أنه من الجنب المطعون جرى دم وماء .. فالرمز إقتراب وتوضيح لمكان الأعجوبة . العرس بجوار الأفخارستيا الكنسية ..

وحضور المسيح يضفى على العروسين هبة قدسية ، وعنها يتحدث القديس بولس حينما يقول « هذه كلها يعملها الروح الواحد قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء » وبتأثير فاعلية الروح يتحول ماء الشهوات الطبيعية إلى ذلك النتاج من عصير الكرمة .. الكرمة النبيلة التى تعنى التحول نحو حب جديد ، حب من فيض النعمة يدخل أعتاب الملكوت والأبدية .. ولهذا السبب تنحنى أم الله كالملاك الحارس فوق العالم فى أزمته قائلة « ليس لهم خمر » « والمعنى الخفى لقول السيدة العذراء هو أن الطهارة الأولى بوصفها تكامل الشخصية قد تلفت والاجران المهيأة (للتطهير عن اليهود) فارغة وغير كافية لأن الأشياء العتيقة قد مضت فتتحول التطهيرات إلى المعمودية لتفتح الطريق إلى العرس الأخارستى للعريس الأوحد يسوع المسيح رب المجد » (٢٠) .

صـــــلاة

• يارب يامن باركت فى عرس قانا الجليل الآن أيضاً بارك ..

بارك كل المتزوجين لأجل مجدك ، واجعل بيوتهم بيوت طهارة ، بيوت بركة ، بيوت . صلاة أنعم بها علينا وعلى الآتين من بعدنا ..

• يامن حولت الماء إلى خمر ..

حول كل غرائزنا الجسدية إلى طاقة حب تسكرنا سكراً عاقلا .. كذاك الذى سكر به تلاميذك يوم الخمسين ..

• ويامن قدست العرس بدخولك فيه وحلول روحك القدوس الآن يا سيد أدخل بيوتنا وحولها إلى كنائس مقدسة حتى يصبح الزواج ايقونة سرية للكنيسة ..

٣ — عمل السر المقدس فى الحب الزوجى .

* يحفظه فى المسيح يسوع

* تقديس العلاقات الجسدية .

* يعطيه إمكانية النماء .

* لا تكون السقطات جراحات مميتة ...

• يلزمنا أن نقرر بادىء ذى بدء أن المسيح هو أساس الحب الزوجى ، وحجر الزاوية فى العفة الزوجية وينبوعها الدفوق ... إليه يحتاج الزوجان كى يتطهر حبهما الجنسى .. وكل علاقاتهما كل نشاط بشرى يحتاج إلى فداء المسيح وتطهير الروح القدس .. لذلك نجد فى صلوات الكنيسة سواء فى الخطوبة أو عقد الأملاك أو الأكليل طلبات كثيرة كى يطهر الرب العريسين ويربطهما برباط العفة والقداسة

فى عقد الأملاك لحن يردده المرتلون عند وضع الحلل ... « الحلة الروحية التحف بها ميخائيل ، والمنطقة الجوهرية تمنطق بها ميخائيل ، حلة العفاف أعطيت لهذا العريس ، وأكليل البهجة وضع على رأسه كالذى قاله داود المرتل مجداً وكرامة جعلتهما تاجاً عليه ... »

وفى صلاة الأكليل طلبات كثيرة إلى الرب يسوع أن يربط العريسين برباط القداسة ...

« لكى يكونا بكل تقوى وعفاف متصفين بجسدهما وروحهما ويستحقا البركة التى من قبلك . . »

« ثبت اتصالهما ، احرس مضجعهما نقياً ، استرهما مع بينهما بيمينك الغير مغلوبة ... نجهما من كل حسد ومن كل مكيدة ، احفظهما بامتزاج واحد وسلامة ... هب لهما فرحا وسروراً ليظهر لك يا الله الحى ثمرة الحياة من البطن .. »

وفى صلاة مسح العريسين بالزيت المقدس [وهنا مسحة العروسين إشارة إلى مسحة الميرون الذى هو انسكاب موهبة الروح القدس] :—

« ليكن زيتا لتقديس عبديك آمين ، سلاح البر والعدل آمين ، مسحة الطهارة وعدم الفساد آمين ، نورا وجمالا لا يذبل آمين ، فرحا وزينة وعزاء حقيقياً آمين ، قوة وخلاصا وغلبة قبالة كل أفعال المضاد آمين ، تجديداً وخلاصا لنفسيهما وجسدهما وروحهما آمين ... غنى وأعطاء وثمرة الأفعال الحسنة آمين ... »

ونستطيع أن نلمح قصد الكنيسة من هذه المسحة وهو اعادة مجد وجلال هذا السر عندما تصلى صلاة وضع الاكاليل :

« لتكن لهما اكاليل مجد وكرامة آمين ... اكاليل بركة وخلاص آمين ، اكاليل فرح ومسرة آمين — اكاليل تهليل وبهجة آمين ،

اكليل فضيلة وعدل آمين — اكليل حكمة وفهم قلب آمين ، اكليل عزاء وثبات آمين ... »

فهى تريد أن يكونوا ملوكا وكهنة وأنبياء ... وهذا المجد الذى اضفاه السيد الرب فى عرس قانا الجليل ، وبالتالى على عرس كل مسيحى أرجع للحب الزوجى ولسر الزيجة الصفة الأصلية ذاتها والكرامة التى كانت له قبل العصيان ...

والكنيسة تقصد أيضا من وضع الاكاليل عليهما وهما متحدان سويا أنهما قد توجا سويا وأصبحا متحدين وعليهما أن يحققا هذه الوحدة فى المعاناة الطويلة اليومية متى تستغرق زمان شركتهما معاً حينما يقع ظل الاكليل (الصليب) عليهما ويمارسان حياة الاستشهاد اليومى ...

هذا بالإضافة إلى صلاة وطلبة حلول الروح القدس على العروسين ليوحدهما فى المحبة ويكونا جسدا واحدا وروحاً واحدا وقلباً واحدا وفكرا واحدا ...

هكذا يكون لعمل الروح القدس السرى فى الزيجة أثره الفعال فى الحب الذى يربط العروسين ... فأحد الآباء يشبه الحب الجنسى بين الزوجين بمادة السر تماما كالقربان والخمر فى سر الافخارستيا ، فكما يحل الروح القدس فى القربان والخمر ويحولهما إلى جسد ودم عمانوئيل

هكذا يحل الروح القدس فى الحب الزوجى الذى يربط الأثنين جسداً وروحاً ليجعلهما واحداً وليس أثنين ...

وفى هذا تصلى الكنيسة فى صلاة عقد الأملاك « أعطهما علامة إشارة اتصالهما ليكونا بألفة واحدة برباط المحبة . إذ تقول لهما سلامى أعطيه لكما ... »

وفى قراءة الأنجيل فى عقد الأملاك تنشد الكنيسة « ويكونان كلاهما جسداً واحداً وليس هما أثنان لكن جسدا واحدا . وما أزوجه الله فلا يفرقه الإنسان » .

ويقول احد الآباء « إنه فى المخدع الزوجى يكون الزوج شبيها بشجرة الحياة فى الكنيسة . ثمارها مغذية واوراقها تهب الشفاء . وتكون الزوجة شبيهة بكأس ذهبية دقيقة تفيض لبنا وعسلا وتتخللها نقاط من دماء البذل ... هكذا ليبق الثالوث الاقدس إلى الأبد فى هذا المخدع الزوجى ... »

• يدعم الوحدة ويحفظها

ما أجمل أن ينشد المرتلون لحنا يعبر عن الوحدة التى صارت بين العريسين بالحب والالفة التى بينهما إذ يقولون « هولاء الذين ألفهم معا الروح القدس مثل قيثارة يسبحون الله كل حين بمزامير وتسابيح وتماجيد روحية ، النهار والليل بقلب لا يسكت » .

فالسر المقدس يعمل على تدعيم هـذه الوحدة وابقائها وعدم انفكاكها ... إنه يضع اختاماً مقدسة عليها حتى لا ينفصم عراها ... وهكذا فى الظاهر يسعى الزوجان إلى حفظ وحدتهما بالامانة والعفة والبذل المشترك ، وفى الباطن يعمل الروح القدس على تدعيم هذه الوحدة وتعميقها وأعطائها الغلبة على كل تحديات الزمان . فبنعمة سر الزواج ينال الزوجان المسيحيان شيئا من الحالة الزوجية السابقة على السقوط فى الجنة .

وعن هذه الوحدة المقدسة يقول ذهبى الفم « لو القيت بالعطر على الزيت لأصبح المزيج واحدا ، هكذا فى الزواج يمكنهما أن يعيشا فى سلام خلف السور المنيع ، ومنهما تفوح رائحة المسيح الزكية ..

من أجل هذا يصير طقس البخور فى سر الزيجة اشارة إلى طرد الأرواح الشريرة [كما كان فى أيام طوبيا] ، وطلب انتشار رائحة المسيح الزكية فى الحياة الزوجية ، وجعل كيان الزيجة طاهرا بحماية الصليب ذى السلطان الحامى .

كما يصير طقس اضاءة الأنوار والشموع إشارة إلى أن المسيح أعاد للزواج ما كان عليه فى البدء عندما خلق الله النور .. عندما أسس الخليقة قبل السقوط ووضع سر الوحدة الزوجية فى الفردوس ، كما يشير النور إلى ألسنة النار التى استقرت على التلاميذ يوم الخمسين ، وهـكذا يعيش

العروسان فى نعمة السر الإلهى فى طلب ملء الروح القـــدس على بنديكوستيهما الزواجى ..

. تقديس العلاقات الجسدية .

ويعمل السر المقدس على تقديس العلاقات الجسدية والجنسية بينهما ؛ إذ من خلاله لا تصير الجنسية عمليات بيولوجية أرضية وإنما تقدمة وذبيحة ذات طابع روحى ...وفى جميع صلوات الكنيسة الطقسية لا نلاحظ أية اشارة للتخوف من الجنس ولا إلى أى أثر لسوء الظن أو الاحتقار ...

هناك طلبة فى الاكليل من أجل هذا الصدد تقول فيها الكنيسة « يا مَن نقل الماء خمراً حقيقياً بسلطان لاهوته ، بارك عبديك وطهرهما بمحبتك للبشر .. يا مَن حل فى عرس قانا الجليل وبارك ذاك العرس ونقل الماء إلى خمر حقيق بسلطان لاهوته بارك واستر هذا العرس الذى لعبديك ، بسلامة وألفة ومحبة واحرسهما .. نسألك يارب أن تسمعنا وترحمنا ... » ثم تصلى قائلة .

« نسألك ياسيد أن تصل عبديك بعضهما بعضا بجسد واحد وليدخلا إلى ناموس الفرح »

وهكذا تعبر الكنيسة عن عملية الاتصال الجسدى بين الزوج

والزوجة أنه مقدس بالسر الإلهى كما تقدس ماء قانا الجليل وصار خمراً مبهجاً .. وهكذا تتحول الشهوة الجنسية إلى نشوة وبهجة ومحبة زوجية تدخلان إلى ناموس الفرح ..

ويقول القديس اكليمنضس الاسكندرى « إن المسيح فى قانا الجليل أيد ما أنشأه فى الجنة ، واعاد إلى الزواج جلاله القديم .. وهكذا الابن دعم ماعمله الآب عندما علم عن وحدة الرجل والمرأة إذ قال « ألم تقرأوا أنه من البدء خلقهما ذكرا وانثى .. »مت ١٩ : ٤(٢١)

• امكانية النمو والامتداد

والسر الإلهى يعطى أيضاً للحب الزوجى امكانية النماء والامتداد فى الطول والعرض والعمق والعلو . . فى الظاهر يتفانى الزوجان فى محبة بعضهما ، ثم فى انكار نفسيهما لخدمة الطفل الوليد ، وفى الباطن يعمل الروح القدس على أن يحول هذا البذل الى تقدمة حب وذبيحة حية مقبوله أمام الله ...

إن الحب الزوجى يمتد إلى الحب الابوى والامومى بوجود الطفل فى الأسرة .. فالأم تعطى نفسها لطفلها ، وتموت جزئياً فى سبيل نموه وكأن لسان حالها ينبغى أن هذا يزيد وانى أنا انقص . إن تضحية الأم تتضمن ذلك السيف الذى تحدث عنه سمعان الشيخ ، وفى هذه التضحية تنحنى كل أم فوق يسوع المصلوب ...

أن الله اعطى للانسان من خلال الطفل أن يتذوق الحب الابوى ، وإن كانت الابوة هى نوع الحياة الإلهية ، فالامومة هى النوع الدينى للحياة الأنسانية .

وامومة السيدة العذراء موضوعة امامنا كشكل إنسانى للابوة الإلهية ، وكنموذج مبارك للبذل اللانهائى ...

٤ – دور الجنسية فى الحب الزوجى

١ — ارتباط الجنسية بالحب فى الحياة الزوجية إذ أن العمل الجنسى معبر عن الاهتمام الكلى بالآخر وتعبير عن الشركة وواسطة لحفظها وتغذيتها وانمائها وتقويتها .

٢ — خضوع الجنسية للضبط والتسامى والوقار المسيحى اذ أن المضجع طاهر فى الحياة الزوجية .

٣ — خصوبة شخصية كل من الزوجين وتجاوز الفردية

٤ — تعبر عن الفرح الداخلى والحب القلبى وواسطة لمزيد من المعرفة كل الآخر وغير مرتبطة بالنسل فقط .

١ – ارتباط الجنسية بالحب عند المسيحى .

اذا كانت الجنسية عند الإنسان الطبيعى ذات مكانة هامة، والانحراف فيها أمر خطير للغاية ، فهى عند المسيحى الحقيق قربان مقدس لله لأنها مع جسده كله ذبيحة اذ صار الجسد هيكلا للروح القدس . فالمؤمن يتزوج كأى انسان لأجل الحب والعطاء ، ولكنه كمسيحى يحب ويعطى ويبذل لا لكى يجد ذاته فى الآخر وانما بذله وحبه يكونان فى المسيح ومن خلال المسيح ، ذاك الذى جعل الاثنين واحدا .. فالمسيح هو أساس العلة الزوجية وينبوعها ، وبه يتطهر الحب الجنسى من كل أنانية ويتجلى بأنوار القيامة ويتقدس ليدخل اعتاب الابدية ...

الزواج يتدنس إذا أصبح مجرد أشباع غريزى حيوانى لحاجة بيولوجية بحتة وإذا أصبح السعى وراء اللذة هدف الزوجين الوحيد فى جماعهما . فعدم الطهارة هنا أن نستعمل الوسيلة كى تكون غاية فى حد ذاتها .

إن حركة المحبة المعطائية هى التى تفتدى الشهوة وتخضعها لنعمة الله الفائقة الغنى — كما سبق الذكر — وهناك طريقان للقضاء على عنصر الموت فى الغريزة الجنسية وهما إما أن يصير الإنسان خصيا من أجل ملكوت الله (بتولا) أو أن يصير مرتبطا بالزواج على أن يجعله مضاء بأنوار القيامة وأفراح المحبة الصادقة .

والقديس بولس يشرح عمل المحبة المتبادل بين الزوجين عندما بين أن جسد كل واحد منهما ليس ملكاً لنفسه بل للآخر ومعنى هذا أن كلا من الزوجين يحسب إسعاد الآخر أهم من سعادته الشخصية ويبنى نفسه فى محبة الآخر .

وعند القديس مكسيموس المعترف المبدأ ان الجسدى والروحى يتحدان فى الإنسان . المبدأ الجسدى لا يبتلع الروحى ، ولا الروحى يبتلع ويذيب الجسدى بل يروضه .

مثل هذه العلاقة تعيد النظام الطبيعى للكون الذى ارتبك بالسقوط

أنها تظهر من جديد شيئا مما كان فى الفردوس وقبسا مما سوف يكون فى ملكوت الله حيث :

+ ينساب الروحى فى الجسدى ليؤثر فيه .

+ وينفتح الجسدى لتقبل النعمة والفرح الأبدى .

الحب الزوجى اذن يفتدى الشهوة ويطهرها وينقيها ويجعل الجنسية مادة طاهرة لسر مقدس عظيم ... ففى ظل نعمة السر تعاش الحياة الجنسية دون انحدار أو هبوط ، وخلال الحب الزوجى يتفجر ينبوع من الفرح الإلهى لا يدركه إلا المختبرون .

هذا الحب ، وهذا الفرح هو ما سيحمله المتزوجون معهم فى الجسد الممجد للملاقاة الرب على السحاب فى مجيئه الثانى المملوء مجدا ...

٢ — **خضوع الجنسية للضبط والتسامى والوقار المسيحى .**

المسيحى الحقيقى يحيا حسب الروح وليس حسب الجسد . وهو يوقن أن غرائز الجسد قد نالها جموح بسبب الخطية الموروثة ، وأن الإنسان العتيق كائن فى أعماقه يريد أن يسبيه إلى الموت وهو يعلم جيدا أن الغريزة الجنسية هى إحدى المجالات الهامة التى يحارب فيها وتبرز فيها ثنائية الإرادة أيضا .

من أجل هذا يحرص حرصاً شديداً على أن يتملك المسيح غرائزه

وأن يلهب الروح القدس داخله حباً للرب ، لأن شخص المسيح وحده هو حجر الزاوية فى حياة العفة الجنسية ، وهو وحده الذى يجذب الجسد ويهدىء الأعضاء ويلهم البذل ويهون الإحتمال . فبدون الطبيعة الجديدة المعاشة بالمعمودية والتوبة والجهاد الروحى يسهل على الإنسان الهبوط إلى الانحطاط الجنسى .

وإذا كان المجتمع الخارجى قد سيطرت عليه جنسية معيبة قاتمة ؛ فإن المسيحى الحقيقى يترفع عن كل اثارات شهوانية ويرفض أن تتدنس حواسه بمثيرات تسيىء إلى كيانه الداخلى ... إنه يحفظ غريزته فى سر ووقار وإحتشام ليجد عند زواجه ذخيرة حية من الحب الطاهر الحقيقى القادر أن يقيم مع الشريك الآخر زواجا مباركا سعيداً .

فهو يدرك أن التضحيات التى يبذلها لكى لا يستسلم لنداء اللذة الأنانية ، هى بمثابة تكريم وإستعداد للعفة الزوجية المستقبلة .

وهو فى جهاده لضبط غريزته يستجيب لنداء الرسول أن يقدم جسده ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله ، وأن لا يشاكل هذا الدهر ، وهو يطيع الأمر الموجه إلى تيموثاوس : « أما الشهوات الشبابية فاهرب منها واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقى » (٢ تى ٢ : ٢) .

ويكمن وراء الجهاد الروحى العنيف لضبط الغريزة والتسامى

بها احساس وايمان واضح أن أعضاء الجسد ليست ملكاً له ولكنها قد صارت ملكا للرب فهل يأخذ أعضاء المسيح ويجعلها أعضاء زانية؟! إنه يسمع قول الرسول « لقد اشتريتم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم التى هى لله ... ان جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله » (١ كو ٦ : ١٩)

وفى مجال الضبط الجنسى يتحدث يوحنا ذهبى الفم مساوياً الرهبان بالمتزوجين فى الإلتزام بالسير فى الطريق الضيق وصلب الجسد فيقول « حينما يأمر السيد المسيح بالسير فى الطريق الضيق فهولا يوجه الحديث الى الرهبان فقط بل انه يوجهه الى جميع الناس ، وعلى هذا القياس يأمر العالم كله بأن يبغض حياته على هذه الأرض ، ومن هذا يتحتم على المتزوج كما على الراهب أن يصل الى نفس الذرى (القمم) .

ويقول أيضا « تخطئون تماما لو أنكم ظننتم أن هناك أمورا مطلوبة من المتزوج وأخرى من الراهب .. استعملوا الزواج بعفة وأنتم تسبقون غيركم فى ملكوت الله .. الحالة الزوجية كالرهبنة كلاهما شكلان للعفة التى تطبق فى كل من الحالتين تبعاً للمعيشة المختارة »[٢٢] .

ويقدم أحد الآباء نموذجين للاتضاع والجهاد القانونى والنسك المسيحى الحقيقى ... واحد يمثل الرهبان، وآخر يمثل الحياة العائلية ...

الأول هو صديق العريس والثانى أمة الرب . الأول هو يوحنا المعمدان والثانى مريم العذراء أم الله .

ويقول بعض الآباء إنه ليس مصادفة أن يلتقى الرب مع موسى وإيليا على جبل التجلى ، ذلك لأن واحداً منهما يمثل الحياة الزوجية الطاهرة والآخر يمثل الحياة البتولية النقية ، ولكل منهما عند الرب مكان على قمة جبل التجلى ...

ولقد طبق بعض الاباء فى كتاباتهم العهود الرهبانية (الطاعة — العفة — الفقر) على الحياة الزوجية المسيحية .

• فالعفة تحتم التفانى والإخلاص غير المنقسم لله ولنعمته ولحقيقته ولهذا يصبح الشخص زوجاً أو زوجة كى لا يكون فى الحب الزوجى إلا الله .

• والطاعة : ألا ينقادا إلا بروح الله .

• والفقر : ألا يرتكنا إلا على ذراع الله وحده .

وقد اعتبر التقليد القديم فترة الخطوبة كفترة الاختبار السابقة على الرهبنة ، كما يفضل بعض المتزوجين بعد اتمام الشعائر الدينية مباشرة خلوة فى دير فترة معينة تستهدف الإستعداد النفسى للقدسية الزوجية . فالجو الرهبانى بما له من عمق روحى يكسو الزواج بفرح صاف .

ولكن هذا الضبط والتعفف لا يعنى الكبت والوسوسة ، ، لأن المسيحى العفيف قد اخضع الجنسية بفرح ورضا المثل الأعلى . وتعهدها بالتسامى فلا يشعر تجاهها بالخوف أو الاشمئزاز .

إنه يجـــد قبل زواجه مجالات للتسامى بغريزته فى الفن الراقى والإبداع الفكرى والخدمة الباذلة والنشاط الدينى ، وبعد أن يتزوج يمارس الدافع هدفه فى تقديم الجسد حباً للآخر ، ولكن فى وقار يليق بأولاد الله ... « إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله ، لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو » .

ويرتبط بالضبط والسمو الحشمة والوقار . فالمسيحى يرى فى حشمة الملبس خضوعاً واعترافاً بما عملته الخطيئة فى الإنسان ؛ وطاعة لإرادة الله فى أن يتوشح الإنسان باللباس ... وحشمته تمتد من وقار الملبس إلى وقار الكلام والتصرف والسلوك حيث هو حريص على ألا يُعثر أو يُعثر آخر بكلمة أو تصرف يسيء إلى العفة الجنسية ...

وإذا كان المجتمع الخارجى يتهكم ويقاوم مثل هذه الاتجاهات المسيحية فإنه كمؤمن يحتمل تعييرات الآخرين فى شكر مبتهجاً فقط أن يرضى سيده .

اخصاب الشخصية وتجاوز الفردية :

سر الشخصية ومضمونها الفريد يوضح أبلغ وضوح فى الحب الذى بدونه لا يمكن تحقيق الكيان ، إذ أن الحب هو الوسيلة لتحرير الشخصية من أسر الذات والسماح لها بأن تتوحد مع الآخر .

وعند بيرديايف – أحد الفلاسفة — أن هناك ثمة فارقا كبيراً بين الشخصية والفردية ... فالفردية هى الكيان المتمركز حول الذات المتجه نحو التقوقع فى الأنا . أما الشخص فهو نوع روحى يتضمن الكل وليس جزءاً منفرداً ... الفردية هى الإنسان الطبيعى أما الشخصية بمعناها العميق فهى تتضمن تسامى الطبيعة الداخلية نحو الاستجابة الخلاقة للنداء الإلهى ...

والجنس عامل هام فى اخصاب الشخصية واعطائها القدرة أن تتجاوز الفردية لتكون كياناً معطياً باذلا محبا ...

ولا يستطيع أن يحب من عاش عبداً للشهوة ذليلا للعادات المنحرفة أسيرا للانفعالات الحسية ... إن المسيحى يحفظ نفسه ويجاهد بشدة فى ضبط غريزته ويتعفف عن أى تصرف جنسى غير لائق ، ويأخذ من النسك ما يحفظ جسمه شفافا خاضعا لحركات الروح ... إن مثل هذا الكيان المخصب ثرى ... إنه الشخصية الإنسانية القادرة أن تبذل الذات ، وهى التى يريدها الله أن تكون كياناً ممتلئا فى الداخل متجهاً نحو الآخر ، حبا وبذلا وانفتاحاً

٤ — غير مرتبطة بالنسل فقط وانما تعبرعن الفرح الداخلى والحب القلبى وتعمل على مزيد من المعرفة كل للاخر .

ينظر المجتمع إلى الزواج كوعاء بيولوجى اجتماعى ... إنه لا يلتفت إلى الحب فيه كثيرا ... ونحن أن أفرغنا من الزواج سر الحب الذى فيه يضحى زواجا مدنيا محضا ونبعده فى النهاية عن الكنيسة ... والتعليم المنتشر بين الناس عن الزواج لا يشجع اطلاقا على النظرة الروحية للزواج اذ يسمه بسمة اجتماعية ولا يتحدث عنه الا بكلمات ضحله عن الانجاب .

وليس من المستطاع ادراك المعنى الفريد للمتحابين الا بالارتفاع فوق الفلسفة النفعية . فتحديد الهدف من الزواج بإيجاد النسل قد يفيد النوع الإنسانى ، ولكنه ينزل بالحب الى الجنسية النفعية ، أما فهم الزواج على أنه موضوع شخصى داخلى لذاته فإنه يرفع من قدره ويجعله كريما ...

فى الزواج المسيحى ما يسمى بالحب المقدس وهو العنصر الخفى الطاهر الذى تحل عليه بركة السر الإلهى ؛ اذ أنه بين الاثنين المتحابين فى سر الزيجة ليس ثالث بينهما غير الله ، وهذا هو المعنى الحقيقى للزواج حين نعتبره صلة مواجهة للأب فى يسوع المسيح المتحد بالزوجين .

ولقد أوصى الله فى الجنة آدم وحواء أن يثمرا ويكثرا وينسلا

ويملأ الأرض ، وأضحى الانجاب هدفا من أهداف الاتحاد الزوجى وصلوات الكنيسة لإتمام سر الزيجة مليئة بالإرشادات عن انجاب النسل والدعاء بالبركة لهذا الغرض مثل :

« فعلى هذا الرسم وهذه السُنة هكذا اتخذ سائر الآباء المؤمنين امرأة واحدة بطهر ونقاوة لطلب الذرية وإيجاد الخلف فيجب عليكما أن يعرف بعضكما حق البعض ويخضع كل منكما لصاحبه » .

« وفى موضع آخر : لينميا ويكثرا من قبل رأفاتك الكثيرة . أعطهما ثمرة البركة »

« مثل العريس الخارج من خدره ، يتهلل مثل الجبار المسرع فى طريقه . امرأتك تكون كالكرمة التى تزهر فى جوانب بيتك ، وبنوك مثل غروس الزيتون محيطين بمائدتك » .

« هب لهما ثمرة محيية من البطن ليمتلئا بولادة البنين الحسنة والأزمنة الهادئة السالمة » .

« أكثرهما كما أكثرت يعقوب وزرعه » .

أكثرهما كمثل القانة وحنة اللذين باركتهما وأنعمت عليهما بصموئيل النبى الأمين . اجعلهما أهلا لبشارة رئيس الملائكة الطاهر كمثل زكريا واليصابات اللذين أنعمت عليهما بولادة العظيم فى مواليد النساء يوحنا ... »

« اجعلهما يفرحان بنظر البنين والبنات الذين يلدانهم ، ائتمِ بهم نافعين فى واحدتك المقدسة الجامعة الرسولية ... » .

« ومتى ما قبلت ما أوصيت به (الحديث موجه للعريس) أخذ الرب بيدك وأوسع فى رزقك ويرزقك أولادا مباركين يقر الله بهم عينيك ويرزقك العمر الطويل والعيش الرغد .. »

« وأنت أيتها الأخت المباركة (الحديث موجه للعروس) قد سمعتى ما أوصى به رجلك ...إذا أنت سمعتى ما أوصيتى به واتبعتى ما أمرت به أخذ الرب بيدك ووسع فى رزقك وحلت البركات فى منزلك ويرزقك أولادا مباركين يقر الله بهم عينيك » .

ومن استعراض هذه القطع كلها يتبين أن ولادة البنين والبنات بركة ، تصلى الكنيسة لأجل أن يعطيها الرب للمتزوجين .

ولا شك أن الحب الحقيقى لا معنى له بدون العائلة والطفل . إن الطفل يكمل الزواج ، ومع أن الزواج ربما لا يعرف على أساس الطفل ولكن لا يمكن التفكير فى الزواج مجرداً عن الطفل ... إن الزوج والزوجة يرغبان بشدة فى التلاقى فى أطفالهما .

وإذا كان العهد القديم يعتبر النسل الكثير بركة من الله إذ دعا يعقوب لابنه يوسف ببركات الثديين والرحم (تك ٤٩ : ٢٥) كما طلب

إرميا من العبرانيين أن يأخذوا لبنيهم نساء ويعطوا لبناتهم رجالا فيلدن بنين وبنات ويكثرون ولا يقلوا (إرميا ٢٩ : ٦) .

إلا أن العهد الجديد لم يهتم إلا بالميلاد الثانى ... الميلاد الذى من فوق بالماء والروح . فبولس يتكلم كثيراً عن أولاده الذين يتمخض بهم حتى يتصور المسيح فيهم (غلا ٤ : ١٩) وعن الذين ولدهم فى قيوده (فل ١ : ١٠) والرب نفسه كرم الولادة الروحية عن الأنساب الجسدية عندما صرخت المرأة بفرح قائلة « مبارك البطن الذى حملك والثديين اللتين أرضعتهما » لو ١١ : ٢٧ فكانت إجابة الرب « بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » والرسول عندما يتكلم عن ولادة الأم للبنين يقول « ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن فى الإيمان والمجد والقداسة مع التعقل (١ تى ٢ : ١٥) والقديس أوغسطينوس يقول « ليكن من بركات الزواج النسل المولود بل المولود ثانية لأنه يولد جسديا للعقاب والدينونة إن لم يولد ثانية للحياة الأبدية » .

وهكذا أصبح مركز الاهتمام فى العهد الجديد خلق الإنسان الجديد المسيحى المؤمن المولود من فوق . فإذا كانت الأسرة المسيحية معتبرة كنيسة فيلزم أن الذين ينضمون إليها يكونون مؤمنين بالحق ... كما تضم كنيسة الله الجامعة الرسولية نفوس الذين يخلصون .

ويمكننا أن نلخص أهم المبادىء التى تحكم نظرة المسيحية إلى الحب الزوجى والشركة الزوجية وعلاقتهما بالانجاب فيما يلى :

١ — إن النسل هدف من أهداف الزواج المسيحى على شريطة أن يكون الوالدان حريصين على أن تكون عملية التربية فى مخافة الرب وحبه كى يولد الابناء من فوق ويثبتوا فى الإيمان والمحبة والقداسة .

٢ — الخلود فى مفهوم المسيحى ليس بإيجاد نسل أرضى وإنما بقوة القيامة العاملة فى حياته ، فالإنجيل يؤكد أن الخلود ليس فى حفظ النوع بل فى المسيح يسوع ، وفى خلع القديم والتجدد على صورة الخالق .

٣ — الوحدة الزوجية بين الرجل والمرأة كاملة فى حد ذاتها ومع ذلك تكتسب صفات جديدة بالتزايد كالأبوة والأمومة ! والطفل هنا ثمرة المجتمع الزوجى وبرهان وتأكيد للوحدة العاملة التى كانت من قبل .

٤ — إذا كان هدف الزواج إنجاب النسل فقط فالإنسان يقع هنا فى مجال مملكة الحيوان على حد تعبير أوريجانوس ، ولكن المسيحيين يفرحون بولادة الطفل ولا يذكرون الشدة لأنه ظهر وجه جديد مدعو لأن يصبح أيقونة الله ...

٥ — فى العهد القديم كان النسل مطلوبا للاحتفاظ بالنوع وتزايد عدد الشعب المختار لكى يبلغ إلى ميلاد المسيا أما فى عهد النعمة فميلاد المختارين بالكلمة والمعمودية وليس بالدم واللحم فقط .

٦ — الإنجاب يجزىء الشخص فى حين أن المحبة تكمله ، فى

المخلوقات الدنيا توجد قوة عظمى للتناسل مع إنعدام تام للجاذبية الجنسية؛ ولكن كلما علت المخلوقات فى سلمها تضاءلت قوة الإنسال بنسبة تزايد الجاذبية الجنسية ، وفى القمة يشتد الحب الجنسى عند الإنسان ليعلو حتى أنه يتجاوز إنعدام القدرة الإنجابية ، والقديس ذهبى الفم يقول « حينما لا يكون هناك طفل أفلا يظل اثنان واحدا » ؟ !

إنه لمن امتلاء الحب الفائض يمكن أن يأتى الطفل كثمرة ولكن الإنجاب وحده لا يحدد هدف الزواج وقيمته ...

٥ – التحديات امام الحب الزوجى :

هناك تحديات كثيرة أمام الحب الزوجى، أمثال الخبرات السلوكية القديمة وبصمات التربية الخاطئة الأولى ، والخوف ، وضعف التوافق العاطفى ، وعدم الاعتراف بحرية الآخر والتقوقع الذاتى .

ولكننا هنا سنكتفى بمعالجة ثلاثة تحديات نراها أكثرها أهمية .

- الصدمة الإنفعالية وثورات الجسد المتمرد .
- الوسوسة والغيرة المرة .
- السأم والملل والضجر وسلطان الرقابة .

١ – الصدمة الانفعالية وثورات الجسد :

يحدث أحيانا أن تكون العفة التى لأحد الشريكين قبل الزواج

على مستوى الكبت وليس على مستوى الأعلاء والتسامى ويظهر هذا الكبت عند بداية العلاقة الجسدية إذ لايهتم الزوج بمشاعر زوجته ولا يحرص على أن يكسو العلاقة الجسدية دفئاً من الحب والحنو والرقة والمشاعر السامية وإنما يهبط إلى الانغماس فى الجانب الحسى البيولوجى البحت ، وهذا يسبب للزوجة جرحا عميقا وصدمة انفعالية عندما تحس أنها أمامه بدن فقط وليست شخصا يعاشر .

« إن الصدمة الإنفعالية كثيرا ما توقف الفرح وتغلق الإنسان على نفسه وتحفر هوة مدوخة مباشرة فتأتى العزلة فى أعقاب النوبة الأولى ويحل التراجع محل الانطلاقة »(٢٣). لذلك يلزم أن نوضح أن الحب وإن كان يفرح بالتلاق فى الانفعال الجسدى ولكنه لايتحقق الا بالانفعال الروحى .

إن العفة فى الزواج امتداد للعفة السليمة قبله فذلك الذى تعهد نفسه بالضبط والتسامى وبذل الذات والاهتمام العميق بالآخر يستطيع أن يتلاقى مع زوجته على مستوى الفهم السليم والحب الصحيح والوفاء الحقيقى .

فى ثورات الجسد المتمرد يصير المحبوب موضوعا وليس شخصا فيفقد المحب حريته ولا يكون له القدرة على التضحية ولا يكون قادرا على أن يحب لأنه لم يعد يحب الحب .

وقد يثور الجسد عند الزوجة لا على المستوى البيولوجى وانما على الصعيد النفسى مظهرا عدم الطاعة للزوج ؛ مع أن الكنيسة حريصة فى

توجيهاتها وصلواتها أن تؤكد للعروس أن تخضع لزوجها حسب أمر الرسول بولس، ومعطية لها مثالا طاعة سارة لابراهيم ، ورفقة لأسحق، وراحيل ليعقوب .

والقديس ذهبي الفم يقول « انه إذا كانت المحبة وصية موجهة للرجال ، والخضوع وصية موجهة للنساء فإذا قدم كل إنسان ما يلتزم به تثبت كل الأمور ، فالرجل بحبه للمرأة تصير هي محبة له وخاضعة ، والمرأة بطاعتها للرجل يصير هو وديعاً نحوها . ثم يوجه الحديث للزوجة فيقول « لا تتنفخي لأن الرجل يحبك . لقد جعله الله يحبك (٢٤) لتطيعيه في خضوع وبسهولة لأن الخضوع للحب ليس فيه أدنى صعوبة .

وفي مجتمعنا اتجاهات تربوية معيبة تريد أن تثير المرأة نحو الجموح والتمرد مظهرة ان الخضوع ضعف وجبن ، وان المرأة ـ وخاصة الموظفة ـ لا تقل عن الرجل في شيء . ومن ثم فيلزم المعاملة بالند ...

والرسول بولس عندما يوصي المرأة بالخضوع للرجل يعطي الأدلة الآتيـــة :

(١) ان آدم جُبل أولا .

(٢) ان حواء أغويت أولا .

(٣) ان الرجل مجد المسيح والمرأة هي مجد الرجل بمعنى أن الرجل

يأخذ من المسيح مجده ، والمرأة تأخذ من المسيح مجدها ، من خلال رجلها لأنها أخذت منه وإليه تتجه ، وكيانها متكامل فيه » ٢٢ .

(٢) الوسوسة والغيرة المرة :

لا شك انه بسبب سوء التربية الدينية أو الجنسية قد ينشأ عند أحد الشريكين نوع من « الحنبلة » ونقصد به التدقيق الضيق على تصرفات الآخر ومحاسبته على كل كبيرة وصغيرة والتوسوس من التصرفات ... الأمر الذى يعكر صفاء العلاقات وينبىء بتلبد الغيوم وانسحاب الربيع لمجىء شتاء قارس البرد ...

إن المحب يحتمل ويصفح ويقبل الآخر كما هو ، لا كما يريده ويصلى من أجل شريكه كى يعمل الله تغييرا فى حياته ويصلح ما يراه من اعوجاج أو انحراف ، وذلك فى الوقت المناسب الذى يريده الله ...

أما عن الغيرة فهى تتكون أحيانا فى الظلام وتنمو ببطء ولا تكاد تظهر فى مجال الشعور حتى تجد صاحبها فى حالة خور وأعياء عاجزاً عن ابداء أى مقاومة فتعمل الغيرة عملها الخبيث الدفين فى هدم الأمل وتحطيم الصحة النفسية والجسمية معاً ، وأحياناً تنفجر الغيرة كالصاعقة فتهز بنيان الحياة الزوجية هزاً عنيفاً ، تاركة وراءها الخراب والدمار .

« وإذا حللنا الغيرة نفسيا لوجدناها أنانية دفينة وإحساساً مزعجاً مؤلماً ناشئاً عن كره الغيران مشاركة شخص آخر فى حقه بالشخص المحبوب ... وكثيراً ما يحس الغير بأن كرامته قد جرحت وحقه فى تملك المحبوب قد سلب كما يمكن أن نرجع هـذا المرض الدفين إلى شراهة وجدانية ونزعة إلى التملك المطلق[٢٥] .

وقد يكون سبب الغيرة عاملا من عوامل الانحراف أو المرض النفسى أو ما يسميه علماء النفس بالاسقاط ، أو لعقدة من العقد النفسية ومثل هذه الحالات تحتاج إلى علاج نفسى ...

إن الحب الذى يوحّد بين قلبين ويجعل منهما قلباً واحداً يتنافى مع الغيرة ، وبقدر ما يكون الحب حبا تملكياً وليس حباً حقيقياً صافياً تكون الغيرة أشد درجة وأكثر إيلاماً وتعذيباً .

٣ – السأم والملل والضجر والرقابة :

كثرة السأم والضجر والحزن الردىء علامة على الهبوط فى الزواج إلى المستوى الفسيولوجى .

والكنيسة تصلى فى صلاة الشكر دائماً طالبة « كل حزن ردىء ووجع قلب إنزعه عنا وعن سائر شعبك » .

وكما يحارب الراهب فى قلايته بالضجر يحارب أيضاً المتزوج بالرتابة

والروتينية والملل ... كلا الإثنين هنا واقع تحت سلطان الزمان...وهذا المرض يسميه رجال علم النفس مرض الأمراض وسم السموم ... حين يقع الإنسان تحت سيطرة السأم ولا تنفع معه حيلة أو تسلية ، ويشعر بالخلاء والخواء والضجر والتبرم وضيق الصدر وعدم الاكتراث ...

وكثيراً ما يشعر الزوجان بالوحشة والفراغ بعد تقدم السن وإستقلال الأولاد بالمعيشة ... فبعض الأمهات المتقدمات فى السن ينزلقن إلى عادات رديئة كالحرص على منع الإبن من الزواج ليبقى مرتبطاً بهما مهما كان الثمن، وبعض الرجال يدمن الخمر أو القمار ، وكثيراً ما يشتغلون بأفكار جنسية حادة يسميها علماء النفس بالمراهقة الثانية ... إن الحب الصادق هو الذى يحاول أن ينسج لنفسه من خيوط السأم والألم والزمن والحياة المشتركة نسيجاً متيناً قوياً تكون له روعة ما فى الطبيعة من جمال .

إن الإيقاع المتصل الذى سارت عليه عملية الزمن فى نظر المحبين اللذين تقاسما حلو الحياة ومرها بمثابة تعبير عن تلك المشاركة الطويلة التى جمعت بينهما فى علاقة شخصية موحدة ، هى علاقة الشركة بين الزوجين .

إن المحبين قلما يستطيعان أن يبقيا طويلا فوق قمة الحب الشامخة ، لأن البقاء فوق الذرى العالية يصيب بالدوار أحياناً . وهذا هو السبب فى

أن معجزة الحب الكبرى تخيب أحياناً لكي يستيقظ المحب على الحقيقة الأليمة المرة وهي أخطاء المحبوب ، ولكن النعمة التي بدأت عملها في الحب منذ البداية هي القادرة أن تكمل وتستر كثرة من الخطايا وتعبر بالمحبين فوق أحداث الزمان وهموم المكان وضعفات الكيان ...

إن الحب يضع محبوبه فوق شتى الأحداث والأعراض والتقلبات والتغيرات ...والحب الحقيقي يفلت من أسر الصيرورة ويخرج على قيود الزمان. فإنني عندما أحب شخصاً فهذا يعني أني سأحبه مهما كان من أمر أفعاله أو تصرفاته ، لأن في الحب سر كفيل بحماية الرابطة بين المحبين يكمن هذا السر في موضوع الحب حيث هو كذلك ...

يقول أرسطو « إن حباً أمكن يوماً أن ينتهي لم يكن في يوم من الأيام حباً حقيقياً » .

إن الكائن المحبوب لا يمكن أن يكون غائباً . إنه حاضر دائماً أبداً بالنسبة إلى تلك الذات المحبة التي إرتبطت به ...

وهذا يفسر لنا الوفاء العجيب الذي يتسم به الزوجان المسيحيان طيلة حياتهما ، وحتى بعد إنتقال ووفاة أحدهما ...

دعـاء

أيها النور الدائم الفائق جميع الأنوار المخلوقة أبرق من علوك شعاعا لينفذ إلى صميم قلوبنا . طهرنا ، فرحنا ، اضىء خلجاتنا وأرواحنا وأجسادنا لكى نتحد بك بإنجـــذابات مبهجة .. واسمح لجميع المحبين الذين إرتبطوا بك ألا يسقطوا تحت سلطان الزمان وهموم الحياة وغرور الغنى. إحفظهم على جبل تجليك كى يقول كل واحد منهم عندما يرى مجدك

« يارب جيد أن نكون هاهنا »

الموضوع الثالث

مسئولية الأسرة والكنيسة

إزاء ...
... لندن

ثالثاً : مسئولية الأسرة والكنيسة ازاء منهج روحى تربوى :

• **فى مرحلة الطفولة :**

١ — يلزم أن يشبع الطفل بطفولته ، يستكمل كل بناء لنفسه ، يعيش فى جو مليء بدفء الحب ، يشعر أنه محبوب من جميع أعضاء الأسرة ... لأن هذه الذخيرة التى تمتلىء بها نفسه هى التى ستجعله قادراً يوماً من الأيام أن يعطى ويبذل دون احساس بجوع أو حرمان عاطفى ...

٢ — يلزم أن يجد من الوالدين قدوة فى علاقات الحب بين بعضهما بعضا . لأن الحب يقتدى ويقتص ويحتذى ، وليس موضوعاً للوعظ أو التلقين . . فالوالدان اللذان يحبان بعضهما ويحبان أولادهما حباً صادقاً هم أكثر الناس قدرة على تسليم حياة الحب الصادق للأجيال الآتية من نسلهم .

٣ — يلزم عدم تخويف الطفل من الأمور الجنسية ، وخاصة فى مراحله الأولى من العمر ، حيث أن عقدة الاشمئزاز والتقزز من الجنس تهدد نمو الإنسان عندما تنشأ فى السنين الخمس الأولى من العمر . لهذا فإن مسئولية الأم — خاصة — مسئولية كبيرة ازاء تنمية اتجاه البساطة والنقاوة والوقار ازاء كل ما هو جنسى وتناسلى .

٤ — يلزم أيضاً عدم التفريق بين الذكر والأنثى فى مراحل الطفولة حتى لا يتربى عند أحدهم عقدة الاستعلاء والتدلل ، وعند الآخر عقدة النقص

والكراهية ... إن المعاملة الثابتة المتزنة من أهم الأسس التى تقوم عليها التربية النفسية الجنسية السليمة .

٥ — ويلزم أيضاً إبعاد الطفل فى سنيه الأولى وخاصة ابتداء من السنة الثانية أو الثالثة عن مضجع الزوجية حيث أن كثيراً من الخوف اللاشعورى عند بعض الشباب وجد أنه مترسب من مشاهدة العملية الجنسية فى الطفولة الأولى واعتبرت عندهم عملا عدوانيا كريها وكبتت فى اللاشعور وأثمرت كراهية لكل ما هو جنسى .

٦ — ويلزم أيضاً الإجابة عن الأسئلة التى يبديها الطفل فى مراحله الأولى عن الأمور الجنسية والعلاقة بين الرجل والمرأة بأسلوب هادئ طاهر يتسم بالصراحة العاقلة وعدم الكذب أو اللف مع استخدام الألفاظ الشبه علمية حتى لا ترتبط الأمور الجنسية عنده بالقبح والقذارة. إن المنزل قادر أن يمسح كل تأثيرات الانطباعات السيئة التى يحملها الطفل من المدرسة والبيئة المحلية .

٧ — وكذلك يحسن بالمنزل ومدارس التربية الكنسية أن تحكى للطفل قصصا كثيرة ومتنوعة عن الحب والوفاء الذى ربط أزواجاً مع زوجاتهم سنين طويلة حتى ترتبط خبرة الزواج والعلاقات الزوجية بالوفاء والحب الطاهر والأمانة والمودة . وليس من المنطق أن نتهاون مع الطفل أو مع المراهق إذا لجأ فى بعض تصرفاته إلى أساليب الغش

والخداع والكذب سواء فى ألعابه أو فى تأدية واجباته المدرسية ثم نطالبه فيما بعد أن يكون وفياً مخلصا فى عمله أو فى حياته الزوجية ، فإن الاتجاه نحو الوفاء أو نحو الغدر والخيانة من الاتجاهات العامة التى تصبغ الشخصية بصبغتها الشاملة . فإذا كان أسلوب الشخص فى حياته هو الوفاء بالوعد والإخلاص فى العمل فمن المحتمل جداً أن يكون وفياً مخلصاً فى جميع أمور حياته وأن يبدى هذا الاتجاه الذى يميز الشخصية المتكاملة ... والحياة الزوجية عمل جدى متصل الحلقات لا يمكن الشروع فيه ومواصلة السعى بنجاح ما لم تكن الشخصية متسقة تصرفاتها ، متكاملة فى دوافعها وأهدافها ،متصفة بالوفاء والإخلاص ... فالزواج هو امتداد طبيعى لحياة سابقة واختبار لنوع تربية عاشها الإنسان فى بيته قبل أن يغادره إلى منزل الزوجية ...

٢ — فى فترة المراهقة والبلوغ الجنسى :

وبالرغم من أن عملية التربية عملية مستمرة إلا أن مرحلة المراهقة والبلوغ الجنسى بالذات تحتاج إلى عناية وإشراف وتوجيه من المربين والمرشدين .

ويمكننا أن نلخص مسئولية الأسرة والكنيسة لهذه المرحله فيما يلى :

١ — أن نساعد المراهق على النضوج فى وثبته الروحية التى هى

طبيعته فى هذا السن . نشجعه على أن يتلامس مع الرب يسوع تلامساً اختبارياً حقيقياً ، ونساعده على أن يكتسب حياة دينية عميقة بقراءة الإنجيل والصلاة والاعتراف والتناول وممارسة أعمال المحبة والبذل .

٢ — أن نساعده على التخلص من التركز حول الذات إلى الوضع الباذل حتى إذا ما تخلص من النرجسية تمكن أن يعرف الفارق الجذرى بين الحب الحقيقى والعشق الكاذب والاضطراب الشهوانى والتخبط العاطفى .

٣ — أن نساعده على أن ترتكز حياته على المحبة ، ومن خلال فضيلة المحبة تنبع الطهارة والعفة ونقاوة القلب وصفاء الذهن وقداسة الأعضاء والهيكل الجسمى ... يلزمه أن يعى الفارق الشديد بين العفة المستنيرة وبين الكبت المضر أو الفريسية المريضة التى تحمل بين طياتها اهتماما شديدا مريضاً بالجنس .

٤ — أن نهيىء له فرص الجلسات الفردية والتوجيه الشخصى وخاصة أمام الأب الكاهن فى الاعتراف حيث تستطيع الكنيسة من خلال سر الاعتراف تقديم التوجيه الصحيح والإرشاد المناسب والإجابة السليمة لكل سؤال وحيرة وموقف يريد أن يعرف له حلا أو إجابة أو تبياناً .

٥ ألا يتحول الوالدان إلى جهاز سرى يراقب كل تصرفاته أو أوراقه فى مكتبه ... لأن مثل هذا التصرف يفقد الشاب ثقته فى نفسه أو يجعله ثائراً على السلطة المنزلية ... إن العطف الوالدى مع شىء

من الحزم إذا لزم الأمر أفضل بكثير من الطرق البوليسية المنفرة ... إذا استطاع الوالد أو إذا استطاعت الأم أو إذا استطاع خادم التربية الكنسية أن يكون مرشداً عطوفاً نصوحاً للشاب فإنه سيلجأ إليه عند أى أزمة وسيطيع توجيهاته الهادئة المقنعة المليئة بإحساس العطف والمشاركة والحنو وتقدير الموقف ...

٦ — ولكن فى نفس الوقت يلزم للوالدين أن يكونا صاحيين فليس من المعقول أن توجد فى المنزل خادمة شابة فى بيت به شبان أو مراهقون ؛ أو خادماً بالغاً مع شابات أو مراهقات ... إن حرباً شديدة مثل هذه يلزم أن نجنب المنزل تجاربها مهما كان الجو متديناً .

٧ — وإذا شعر الوالدان أن ابنهما أو ابنتهما قد بدأ ينجذب إلى احد الأقارب او الأصدقاء من الجنس الآخر فلا يسرعان إلى اسلوب المقاطعة والتهديد ، كما لا يهملان هذا الموضوع نهائيا وإنما يلزم معالجته بهدوء وصبر واقناع . ان توضيح معنى الحب للمراهقين وشروطه كما اوضحها هذا الكتاب وابراز خطورة الارتباط العاطفى قبل استكمال النضج النفسى والجسمى والروحى وشغل أوقات المراهق بما هو مفيد ومسر ، سواء من ناحية الهوايات او الرياضة او الخدمة مع ضرورة الصلاة من اجلهحتى يعبر به الرب أزمة المراهقة بسلام ... كل هذه الوسائط لازمة للتربية فى هذه المرحلة .

٨ — وعندما يصل الشاب أو الفتاة إلى مرحلة الجامعة يستقبله

الجو الجامعى المختلط وهو مجال جديد بخبراته والتزاماته .. لهذا يلزم التوجية وخاصة من الكنيسة ومدارس التربية الكنسية عن كيفية التعامل والتفاعل وحدود وأبعاد الاتصالات وخاصة مع الجنس الآخر. وعندما يبلغنا الشاب المجابه بواحدة من زميلاته نشرح له أن هذا الموضوع سابق لأوانه لأنها هى لا تستطيع أن تلتزم به قبل استكمال مرحلتها الجامعية ، وهو أيضاً لا يستطيع أن يلتزم بها إلا بعد التأكد من تمام نضجه العاطفى ، كما أن الاعجاب الخارجى هذا كثيراً ما يحمل نوعاً من الرومانسية والخيالية ؛ وعلى الكنيسة أن تسحبه من هذه التجربة بهدوء منتظراً فى عفة وصبر مجىء الساعة المناسبة للتقدم إلى شريكة حياته فى حرية ونضج ووعى وبذل والتزام مسيحى سليم .

٩ — ويحسن بنا أن نشير ايضاً إلى أن مجالات أسر الشباب الجامعى الدينية التى انتشرت كثيراً فى هذه الأيام تحتاج إلى اشراف روحى ومراقبة وتوجيه دقيق حتى لا تتحول إلى مجالات للتعارف والصداقات التى تتحول بمرور الأيام إلى صداقات عاطفية تجرح عفة الطرفين وتسىء إلى الجو الدينى الذى يلزم أن يتصف بالصفاء الكامل . ونحن ننصح الشبان والشابات المتدينات ألا ينزلقن فى تيار القلة المستهترة بالقيم الروحية المعجبة بغرور هذا العالم والدون جوانية الكاذبة . وليحافظ كل واحد منهم على سره الروحى والعاطفى ، وعفته ، وملئه الداخلى ، حتى لا ينكشف هذا كله إلا لمن اعطاه الرب له شريك حياة ورفيق جهاد فى حياة زوجية مقدسة مباركة

الموضوع الرابع

أسئلة منتقاه من ندوات عن العفة والحب

رابعاً : أسئلة منتقاة من ندوات كثيرة عن العفة والحب عقدت فى كنائس واجتماعات لأسر الشباب الجامعى .

السؤال الأول :

يقول لى زملائى فى الكلية إن علاقات الصداقة الجنسية فى المرحلة الجامعية هى بمثابة اختبار كل واحد للآخر تمهيداً للزواج إذا اقتنع الاثنان ببعضهما بعضاً — فما رأيكم ؟

يلزمنا أن نعرف أن علاقات الحياة الزوجية تختلف تماماً عن أى حب خارج هذا الاطار . لقد ذكرنا فى هذا الكتاب أن أى حب خارج الزواج يحمل جرثومة تحطيمه ، لأن الزواج وحده هو القادر أن يحفظ الحب ويعطيه المعنى والديمومة والصقل والاشتعال . أما كل حب خارجى فهو عشق وانسجامات عاطفية .

إن اختيار الشريك الآخر فى الحياة الزوجية يلزم أن يكون بإرشاد من الروح القدس وبتوجيه خاص من الرب يسوع فى القلب . وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الإنسان جاداً فى طريقه الروحانى ، مخلصاً فى جهاده الداخلى ، محباً باخلاص للرب يسوع ، مستشيراً إياه دائما مطيعاً لوصاياه .

إن الشاب الذى يختار شريكة حياته بدون ارشاد الرب كثيراً ما يقع فى متاعب كثيرة لأنه مكتوب « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » .

ولا تصلح العلاقات العاطفية أن تكون تمهيداً للزواج لأن الكنيسة تضع فترة الخطوبة الرسمية فترة اكتشاف كل واحد للآخر والتعرف على نوع شخصيته ومدى ملاءمتها له وكلما كان الشاب طاهرا وتقدم للخطيبه بكراً لا يعرف أى خبرة جنسية زواجية كلما كان أكثر صلاحية للزواج لأن الخطيبة ترى فيه عفة نادرة ووفاء واخلاصاً وحباً أعطاه امكانية صون نفسه طيلة فترة مراهقته وشبابه حتى وصل إلى مرحلة الزيجة الطاهرة . إن الشاب الطاهر الذى لم يدخل مجالات الصداقات الجنسية يحمل فى جسمه وفكره وقلبه شهادة عفة وامانة ومحبة وطهارة لخطيبته كأنه يقول لها من اجلك وقبل أن اعرفك حفظت نفسى طاهرا لأتلاقى معك على صعيد المسئولية الجادة والبذل الطاهر .

السؤال الثانى :

عندما تعرفت على زميلة لى فى الكلية تخلصت من عادة جنسية رديئة وبدأت اقبل على المذاكرة . فكيف تعارضون الصداقات الجنسية قبل الزواج ؟

لا شك أن الإنسان عندما يخرج من دائرة ذاته لينفتح للآخر يتخلص من العادة الجنسية التى هى نوع من التمركز الذاتى والنرجسية الجنسية ، كما انه يحس بدافع يشجعه على الاستذكار حتى يزهو أمام الاخر بما حصله من علم وتقديرات وشهادات . ولكننا مع هذا كله

نرى أن الشاب الذى يقبل على الصداقات الجنسية خاصة وانه غير مقبل على الزواج للتو يكشف عن نفسية عندها فراغ داخلى وعزلة وعطش نحو الآخر كى يشبع فيه عواطفه ونزواته وميوله وغرائزه . أما الإنسان المؤمن فهو لا يحتاج إلى الآخر على هذا المستوى ، إنه يحتاج إليه على مستوى التكليف والمسئولية والبذل فإذ يشعر أن الله ألقى عليه مسئولية تكوين أسرة تكون كنيسة صغيرة لله يتحمل هذه المسئولية بالقوة التى يعطيها الله له ، ويتشدد عند حمل صليبها ، ويجاهد كى يصلب ذاته وانانيته فى كل شىء حتى يكون الزواج عملا روحيا مباركا وليس عملا سيكولوجياً اجتماعياً بحتاً . والأفضل لك يا اخى أن تتقدم إلى الرب يسوع للتعارف عليه فيملأ حياتك بالتمام ويعطيك أقدس الدوافع وأقوى الالهامات وأعمق الشبع ، ويسندك فى جهادك العلمى والروحى. وعندما تصل إلى وقت الزواج سيختار لك شريكة حياتك لا على مستوى الانسجام العاطفى فقط بل على مستوى الحب الحقيق والبذل الطاهر .

السؤال الثالث :

شعرت بحب شديد نحو شاب ليس من دينى وقد وعدنى بالزواج عندما نتخرج فى الجامعة على أن أبقى متمسكة بديانتى المسيحية . فما رأيكم فى هذا ؟

نود أن نقول للاخت أن هناك غلطة حصلت فى حياتها وهى توجيه

عواطفها نحو شاب وهى لاتزال طالبة ، ثم إن تركيز المشاعر نحو شخص أمر يجعل التجربة صعبة وتحتاج لجهاد كبير للخروج منها .

أما عن الزواج فهو فى المسيحية سر مقدس يشترط أن يكون كلا الشريكين مسيحياً أرثوذكسياً حتى يحل الروح القدس على محبة وإيمان الطرفين لجعلهما واحداً .

وعلى ذلك فإن الزواج المسيحى لا يمكن أن يتم إلا إذا ترك الطرف الآخر دينه وقد يكون هذا صعباً بالنسبة إليه ؛ كما أنه ليس من المفضل أن يترك الإنسان دينه لأجل علاقة عاطفية .

وما ننصح به هو ان تكونى صارمة مع نفسك وتغلبى عواطفك ، وتبعدى عنه تماماً ، وتسترشدى بأب أعتراف حاذق وتستعينى بالصلاة والصوم والتناول من الأسرار الإلهية حتى ينقذك الرب من هذه التجربة ويعطيك نعمة أن تكون عواطفك محفوظة كذخيرة ليوم أن يأتى الشاب المؤمن الطاهر الذى يرسله الرب لك ليكون شريك حياتك على مستوى الإيمان والحب الحقيقى غير الطائش أو السطحى أو الهوائى .. الرب قادر أن يسندك ويحميك من هذه التجربة ..

السؤال الرابع :

لقد تخرجت فى الجامعة وأنا شاب متدين مواظب على ممـــارسة

الإسرار الإلهية ، وقد شعرت بارتياح لزميلة تخرجت معى ، وصارحت والداى بالموضوع ولـكنهما رفضا لا لحجة سوى أن شكلها غير جميل فى نظرهما ومستواها المادى والأجتماعى أقل من مستوانا رغم أنها متدينة بصدق . فما رأيكم ؟

لا شك أن التـكافؤ بين الشريكين فى الزيجة أمر يساعد على الحياة السعيدة ، وقد يـكون رأى الوالدين أنها غير جميلة ومستواها المادى لايتناسب معـكم فبعدما تتزوجها تشعر بأنه كان فى إمكانك أن تأخذ أفضل منها وعندئذ تصاب بضيق يمنع الفرح الزوجى .

ولـكن اذا كنت حقيقة كرّمت تدينها وتجاوزت عن الجمال الجسدى والفقر المادى باقتناع ووعى وبصيرة روحية صادقة فانك على حق فى موقفك . وكل ما تعمله أن تصبر وتصلى وتجعل أب أعترافك يتدخل بحـكمة وهدوء . وهناك حالات كثيرة أنتهت بسلام لما أقتنع الوالدان باصرار الإبن على موقفه ليس عن عناد ولـكن عن تدين صادق؛ ووجدوا فيه إكراما لهم وأحتراماً لهم بأنه أكتفى بالصمت مع الاحتمال دون تبرم أو تذمر فى الجو المنزلى ، وبدأ روح الله يعمل ، وأكتشف الوالدان صدق وسلامة نظرة أبنهما فأسرعا إلى الفتاة يخطبونها لأبنهما .

قد تـكون معارضة الوالدين علامة على أن الوقت لم يحن فلننتظر . ونحب أن نشجع الشباب فى هذه الأيام على أحترام وجهات نظر

الوالدين بحكمة وخاصة إذا كانا متدينين ، لأن جيلنا هذا يتسم بالتمرد وعدم الإكتراث فى كثير من الأحيان

السؤال الخامس :

كثيراً ما أشعر بانجذاب نحو أخت صديق زميل لى فى الكلية أذهب إليه فى منزله ، فما التصرف ازاء هذه المشاعر ؟

لا شك أنك فى فترة شبابك هذا مليء بالمشاعر والأحاسيس العاطفية ولكن من الخطر ان تخرج هذه الثروة لتبعثرها هنا وهناك . إنها علامة نضج ورجولة ولكن يلزم ضبطها وحفظها بوعى فى الداخل إلى ساعة التقدم للخطوبة .

ننصحك بما يلى :

١ — صل كثيراً من أجل هذا الموضوع حتى يبعد الرب عنك حرب الأفكار ، وقل له يارب إن كنت تريد أن تكون هذه الأخت شريكة حياة لى فاحفظها طاهرة وأحفظنى أنا أيضاً ، وقدسنى لأجلها وعند هذا الحد ينتهى كل شيء ليحفظ فى السماء هذا الموضوع ، والزمان كفيل إما بتحقيقه أو رفضه لأن الله يكون قد أصدر الأمر فيه وما عليك إلا أن تقبل هذا الأمر بشكر . وكثيراً ما تكون هذه الإنجذابات مشاعر طائشة سطحية تنتهى بنضج الشخص ونموه فى الحياة الروحية والنفسية والإجتماعية .

٢ — يحسن عدم الذهاب إلى منزل صديقك فترة من الزمان حتى تنتهى حرب الأفكار .

٣ — إكشف هذا الموضوع لأب أعترافك حتى يصلى لأجلك ، والرب نفسه إذ يرى أمانتك يمد الحرب عنك بصلاته عنك ، وصلاتك من أجل خلاصك .

٤ — احترس من الخداع الجنسى تحت إسم الصداقة النبيلة والمودة الأخوية لأن الغريزه قادرة أن تتخذ صورا كريمة لممارسة سلوك منحط

السؤال السادس :

كثيراً ما أحاول التقرب إلى الزميلات فى الكلية بقصد تكوين صداقة بريئة ولكنى إقابل بالرفض منهم ، فما هو التصرف الصحيح ؟

إن هـــذا السؤال يحمل أحساساً بأنك لست واثقا من نفسك ، ولأجل هذا الضعف أو الشعور بالنقص تسعى وراء الفتيات تطلب صداقتهن . إن الشاب العفيف الممتلىء داخليا لا يحس بنقص أو تعطش أو احتياج لمثل هذه العلاقات . إنه ينظر إلى كل الفتيات نظرة طاهرة كأخوات له ، ومن ثم فإنه لا يقلق ولا يضطرب لأنه ليس على علاقة معهن لأن العلاقة الروحية الباطنية الصادقة تملأ جنباته ولذلك فهو مستعد أن يخدم كل واحد وكل واحدة إذا طلب منه ذلك ، ومن ثم لا يجرى وراء الصداقة لأنه يحيا فى الحب والصداقة الأمينة ، وليست الصداقة الحقة بعيدة عنه .

وننصحك أن تلتفت لحياتك الروحية الحقة وتجعل الرب يسوع هو الذى يملأ حياتك وفراغك العاطفى لتشبع منه ويصير عريساً حقيقياً لنفسك ، ومن ثم تكون علاقاتك مع الآخرين متسمة بالوقار والاتزان والمودة الصادقة الطاهرة الصافية الشفافة كما ننصحك بالالتفات إلى حياتك العلمية لأن الشاب عندما يكون أميناً فى روحياته يكون أمينا فى تحصيله العلمى ، ومن ثم فإن الملء الروحى والعالمى كفيل ألا يشعرك بالفراغ اطلاقا .. وقد يكون سبب سعيك وراء هذه العلاقات الرغبة فى تقليد الزملاء غير المؤمنين بينما يقول الرسول « لا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانهم » .

السؤال السابع :

كيف أعرف أنى مؤهل للزواج ؟ وكيف أتأكد إن التى اختارها هى من الله وليس من اختيار بشرى ؟

سبق أن أوضحنا فى هذا الكتاب شروط الحب الزوجى الحقيقى وهى نفس شروط التأهل للزواج ونلخصها فى :

١ — النمو الروحى والتخلص من الأنانية والتمركز الذاتى .

٢ — النضج الجسمى والنفسى والاجتماعى .

٣ — القدرة على تحمل المسئولية المشتركة بفرح وصبر ، واحتمال عيوب الآخر دون تضجر

٤ — التحرر من كافة الضغوط المادية والنفسية ، الداخلية والخارجية التى تمنع الحرية الحقة فى الاختيار .

٥ — التعفف الجنسى والقدرة على الحياة الطاهرة حتى تكون اللقيا مع الآخر على مستوى العفة المعاشة قبل الزواج .

أما عن كيف تتأكد من أنها مختارة من الله وليس من اختيار بشرى فيمكننا أن نشير إلى :

١ — أهمية الصلاة بلجاجة من أجل هذا الموضوع حتى يُظهر الرب رأيه بوضوح ويعلن مشيئته فى قلبك وقلوب الذين معك .

٢ — استشارة الأب الروحى الحاذق المملوء نعمة ، وطاعة مشورته .

٣ — الانتظار فترة وعدم الاندفاع حتى نترك لروح الله فرصة كى يكشف ويوضح مقاصد الرب يسوع .

٤ — الثقة فى أن ما يُعمل يُعمل للخير ؛ فإذا ما طرقت الباب فى هدوء وفتح وظهرت دلالات ظاهرة عن وضوح مشيئة الله فلتتقدم أكثر ، وإن أغلق فلا تجاهد فى فتحه بشدة وإلحاح لأنه هو وحده الذى يفتح ولا أحد يغلق ، ويغلق ولا أحد يفتح ...

السؤال الثامن :

كيف أحـــدد طريق تكريس حياتى لله . أفى الزواج المسيحى المتعفف أم فى التبتل ، علماً بأنى فى السنوات النهائية من المرحلة الجامعية ؟

هذا السؤال يكشف عن قلب محب للمسيح يريد أن يعيش مكرساً للرب سواء فى الزوجية أم فى التبتل . وقد سبق أن أشرنا فى هذا الكتاب أن كلا الطريقين يوصلان إلى ملكوت السموات ، وقد عبر عنهما أحد القديسين بأنهما الجانبان اللذان لجبل طابور وكلاهما مسلكان يؤديان إلى اقتناء الروح القدس والفرح بالعريس السماوى .. إلا أن الإنسان يشعر بأفضلية الحياة البتولية عندما يتحقق مما يلى :

١ — أنه لا يعانى كبتاً جنسياً أو انحرافاً ، وأنه قادر على التزوج وتكوين الحياة العائلية وتحمل كل مسئولياتها المختلفة .

٢ — أنه يعيش فى حياة طهارة داخليـــة فى الفكر والجسد والحواس .

٣ — أنه رغم صلاحية حياة الزيجة له إلا أنه يفضل حياة التبتل لما فيها من تكريس أعمق وتفرغ أكثر والتزام كامل بالعريس

السماوى وحده والحرية المقدسة فى تحقيق كل المشتهيات الروحية من اعتكاف وصلاة وأصوام وخدمة للكلمة .

٤ — أنه عندما يقابل متزوجين ناجحين فى زيجاتهم نجاحا مسيحيا وعندما يقابل رهبانا أو بتوليين يعيشون فى حياة التكريس الكامل لله فإنه يفضل الحياة الثانية عن الأولى بلا منازع ، لا رغبة فى شهرة دينية أو طمعا فى فضيلة معينة ، ولكن حباً ملتهباً لشخص الرب يسوع وحده .

والآن .

نسأل ونطلب من صلاحك يامحب البشر .

+ ان تعطى للشباب الحائر استقراراً وراحة وسلاماً .

+ وأن تعطى للشباب العاثر توبة وعودة إلى أحضانك ، ورجوعا دائماً .

+ وأن تعطى للشباب الثائر هدوءاً وطاعة وخضوعاً ...

+ وأن تعطى للشباب الطاهر نمواً وفرحاً ، ولحبك التهاباً ...

ولتجعلهم بالبركة الوفاً الوفاً .

ربوات ربوات

يسبحون اسمك العظيم القدوس آمين ؟

ثبت بالآيات من الكتاب المقدس تختص بموضوعات هذا الكتاب

تك ١ : ٢٧ — فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم .

تك ٢ : ٢١ — ٢٣ — فأوقع الرب الاله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً وبنى الرب الاله الضلع التى أخذها من آدم إمرأة وإحضرها إلى آدم .

تك ٢ : ٢٤ — لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً .

١ كو ٧ : ٣ ، ٥ : ١٠ — ليوف الرجل المرأة حقها الواجب ، وكذلك المرأة أيضا الرجل ، ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل كذلك الرجل أيضا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة . لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين ...

١ بط ٣ : ٦ — كما كانت سارة تطيع إبراهيم داعية إياه سيدها التى صرتن أولادها صانعات خيراً وغير صائفات خوفاً البتة .

اف ٥ : ٣٣ — وأما أنتم الأفراد فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه وأما المرأة فلتهب زوجها .

تى ٢ : ٤ — لكى ينصحن الحدثات أن يكن محبات لرجالهن ويحببن أولادهن .

١ بط ٣ : ٧ كذلك أيها الرجال كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الأناء النسائى كالأضعف معطين إياهن كرامة كالوارثات معكم نعمة الحياة لكى لا تعاق صلواتكم .

كو ٣ : ١٩ — أيها الرجال أحبوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن.

ام ١٩ : ١٤ — البيت والثروة ميراث من الآباء . أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب .

١ كو ٧ : ٣٩ — المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا ولكن إن مات رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط .

١ بط ٣ : ١ — كذلك أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة يربحون بسيرة النساء بدون كلمة ملاحظين سيرتكن الطاهرة بخوف .

١ كو ١١ : ٣ — ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح ، واما رأس المرأة فهو الرجل ، ورأس المسيح هو الله ..

٢ تى ٢ : ٢٢ — أما الشهوات الشبابية فاهرب منها وأتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقى .

كو ٣ : ٥ — فاميتوا أعضاءكم التى على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الرديئة الطمع الذى هو عبادة الأوثان .

اف ٥ : ٣ — وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يسم بينكم كما يليق بقديسين .

رو ٦ : ٦ — ١٣ — أطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية .

غل ٥ : ٢٤ — ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات الكثيرة .

١ كو ٦ ١٩ — أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم ...

المراجع التى أستعان بها المؤلف واقتطف منها مقتطفات، مرتبة حسب أهميتها للبحث

Paul Evdakimov,: Sacrement del'amour «Le mystére Cogal ygol à la Lumière de la tradition Orthodoxe .

[وقد قامت الأخت العزيزة الأستاذة ايريس حبيب المصرى مشكورة بترجمة أجزاء كثيرة منه لنا] [مقتطفات رقم ١٢ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ — ٢٣] .

٢ — د . زكريا إبراهيم : مشكلة الحب [مقتطفات أرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ١٦ ، ١١ ، ١٧] .

N. & PN. Fathers Ist Series Vo 5. St. Augustine- On Marriage & Concupience.

٤ — كتاب صلوات الاكاليل الطقسية للكنيسة القبطية الارثوذكسية (١٦) .

٥ — د . يوسف مراد : سيكولوجية الجنس [٩ + ١٨ + ٢٥]

٦ — كوستى بندلى : مقالات العفة والحب من منظار مسيحى مجلة النور سنة ١٩٦٣ (٥) + (١٠) .

مقال «نحن والمراهقون» مجلة النور سنة ١٩٥٣

٧ — الأب جورج خضر : السر العظيم . مترجم من مقال بمجلة

St. Vladimdir's Seminary Quarterly, 1964 Vol 8.
١٣
٨ — نيقولا برديائف : العزلة والمجتمع سنة ١٩٦٠ (٨) .
٩ — اكليندس الإسكندرى : المربى .
١٠ — د . منيرة حلمى : المراهقة المصرية وحاجاتها الارشادية (٧)
١١ — د . صموئيل مغاريوس : المراهق المصرى .
١٢ — حبيب جرجس : اسرار الكنيسة السبعة .

المحتوى

مقدمه — صحيفة

الموضوع الأول : معنى الحب الجنسى

ما هو الحب ٧

بين الحب والعشق ٩

بين الحب والصداقة الجنسية ٢٣

بين الحب والشفقه ٢٧

مقومات الحب الحقيق (النضج والبذل — الحرية —

الجاذبية والالهام — الالتزام الزوجى) ... ٣١

الموضوع الثانى : الحب الزوجى

مركز الحب الجنسى فى الحياة الزوجية ٤٥

سمات الحب الطاهر فى الزوجية ٤٧

عمل السر المقدس فى الحب الزوجى ٥٦

دور الجنسية فى الحب الزوجى ٦٤

التحديات أمام الحب الزوجى ٧٧

الموضوع الثالث :

مسئولية الاسرة والكنيسة ازاء منهج روحى تربوى ... ٨٧

الموضوع الرابع : اسئلة منتقاة من ندوات عن العفة والحب

ثبت بالايات المقدسة ٩٥

المراجع ١٠٨

للمؤلف

١ — أسس التربية المسيحية « جزءان »

٢ — فى التربية المسيحية « مع الأستاذ سليمان نسيم »

٣ — المنهج العام لمدارس الاحد سنة ١٩٦٠

٤ — مستويات تدريس حوادث الميلاد والقيامة

٥ — حياة العفة

٦ — صوت الرب

٧ — سر الحب « من خلال الإنجيل وعلم النفس »

رقم الايداع بدار الكتب ٢٠١٨ لسنة ١٩٧٠

دروس مدارس الأحد
كتب . صور
ميداليات . هدايا
أدوات كنسية
براويز
مكتبة المحبة
٢٠ شارع الفجالة بالقاهرة ت ٩٠٣٨٢٥